سلسلة

الشَّيْخ أ.د فَلَاح إِسْمَاعِيل مندكَار

كَمَا عَرفته

لفضيلة الشيخ:

د. محمد هشام طاهري

حفظه الله

لمشاهدة السلسلة في اليوتيوب:
https://www.youtube.com/watch?v=zYhNHhEdTvncu-٣WLFx-qrC٨&list=PLcHCz٨VEefgDu٦dS٩QVy

تنبيه: الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأول

الحمد لله رب العالمين، نحمده سُبْحَانَهُ ولي الصالحين المتقين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبَعْدُ...

فبالأسانيد المتصلة إلى الإمام البخاري -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَّ اللهُ تَعَالى عَنْهُما-؛ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

هذا الحديث المتفق على صحته يدُلنا -أيها الإخوة- على فوائد عظيمة؛ منها: أهمية أن يستفيد الإنسان من العلماء حال وجودهم، وأن العلماء إذا قُبِضوا فينبغي علينا أن نجتهد في السير على منوالهم.

وفي هذه المحاضرة ليس المقصود أن نتذاكر شيخنا/ أبا محمد فلاح بن إسماعيل بن مندكار رَحِمَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وجعله في الجنة مع الأبرار، وغفر له، وبارك في ذريته وفي تلامذته، ليس المقصود من ذكره حتى نبكي ونتباكى، فهذا حظ الأحياء، وإنما حظ الميت الدعاء.

ولهذا كان الذي ينبغي عند الموت هو الدعاء للميت لا البكاء على الميت؛ لأن البكاء على الميت هو حظ النفس، أي نعم هو ليس ممنوعًا إذا كان بدمع العين بلا صوتٍ،

ولكنه ممنوعٌ إذا كان بصوتٍ، فإذا كان حظ الميت الدعاء فالحمد لله وجدنا العالم شرقًا وغربًا يدعون لشيخنا -رَحِمَهُ اللهُ جلَّ في عُلاه-.

ومن حقه علينا أيضًا أن نتذاكر في شيءٍ مما نستفيد منه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- في حياتنا، فإن العالم له المكانة العالية؛ لأنه كما قال بعض العلماء: "العلماء هم الذين يُطبِقون دين الله -عَزَّ وَجَلَّ-"؛ ولهذا قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وهنا يأتي السؤال: لماذا لم يقل فاسألوا العلماء وإنما قال فاسألوا أهل الذكر؟!

➢ لأن المقصود اسألوا الذين هم أهلٌ للذكر، وأهل الذكر أي أهل القرآن وأهل السنة، أهل الذكر حملة القرآن وحملة السنة، دُعاة القرآن ودُعاة السنة، أهل الذكر هم الذين إذا رأيتهم ذكرت الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وشيخنا -رَحِمَهُ اللهُ تَعالى- قد استفدنا منه كثيرًا، فهو بمقام الوالد لنا جميعًا طُلاب العلم في الكويت، وفي غير الكويت ممن استفاد منه -رَحِمَهُ اللهُ- سمتًا ودَلًا، نسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يُسكنه فسيح جناته.

لم أُرتب هذه المحاضرة، ولن أُرتب ما سيأتي من المحاضرات عن حياة شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- لكن سأذكر محطاتٍ عن حياة شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- كما عرفته؛ حتى يكون نبراسًا لنا عمليًا في حياتنا، في هذه المحاضرة أتحدث عن شيءٍ من جوانب حياة شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- مما عرفته في درسه وتدريسه.

وكان أول لقاءٍ لي مع الشيخ يوم أن كان في الثلاثينات من عمره، وأنا يومئذٍ مقاربٌ الخامسة عشر من العمر؛ حيث جاء -رَحِمَهُ اللهُ- من المدينة بعد تخرجه، وصار يُدرِس في دار القرآن في منطقة الفحاحيل، وكان هذا إما في سنة (أربعٍ وثمانين) أو في (خمسٍ وثمانين) لم أضبط التاريخي لأنني لم أكتبه، والـمُنبغي على طلاب العلم أن يكتبوا كل

شيءٍ على كراريسهم، وكان هذا مكتوبًا في كراستي، حيث كان الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- قد درسنا الفقه في هذه السنة التي قدم فيها من المدينة النبوية وصار يُدرِس، ثمَّ بعد ذلك رجع وأكمل دراسته الماجستير والدكتوراه.

ولكن في هذا الفصل الذي درسانا الشيخ ما الذي استفدته منه، والذي أريد أن أنقله لكم جميعًا؛ مع صغر سني لكني وجدت أن شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- نقلنا نقلةً نوعيةً تامة إلى ثلاثة أمورٍ ما كنت أعرفها، ولم أجدها عند غيره -رَحِمَهُ اللهُ تَعالى-:

- **الأمر الأول**: شدة حرصه -رَحِمَهُ اللهُ- على التوحيد، وهذا الأمر -وهو شدة حرصه على التوحيد- تعليمًا ونشرًا، وتطبيقًا وتذكيرًا، هذا صار معي في كل حياتي مع الشيخ إلى أن توفاه الله -عَزَّ وَجَلَّ-.
- **الأمر الثاني**: وهو أيضًا أمر عظيم علاوة على الحث على التوحيد والسنة، الحث على فهم سلف الأمة، ولأول مرة في حياتي -ولا أُخفيكم- أسمع هذه المقالة؛ وهو القرآن والسنة على فهم سلف الأمة من شيخنا أبي محمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-.

ولأول مرة في حياتي -وهذا كما ذكرت في أوساط الثمانينات- أسمع داعيةً يقول: القرآن والسنة على فهم سلف الأمة، قد قل قائل: كان هناك علماء آخرين! أقول: نعم، لكن لم يكن عندهم هذا التركيز، هذا التركيز إنما وجدته من شيخين عنهما أخذت:

- **أولهما**: الشيخ عبد الرحمن عبد الصمد أبو يوسف -رَحِمَهُ اللهُ تعالى وأسكنه فسيح جناته-.

- **وثانيهما**: الشيخ أبو محمد فلاح بن إسماعيل بن مندكار.

وهذه قضية مهمة جدًا، كان سببًا -ولله الحمد والمنة- أنَّا لم ننجرف مع تغير المتغيرات، وتغير الأفكار الواردات، ثبتنا الله -عَزَّ وَجَلَّ- بهذه القاعدة العظيمة التي رأينا الشيخ يحُث الطلاب عليها جميعًا، وهذه القاعدة أيضًا مشى معنا في جميع تعليمنا مع الشيخ في سنوات عمرنا كلها.

ومع أني ذكرت أنه لم يُدرِس إلا فصلًا واحدًا فقط، ثمَّ ذهب إلى المدينة، لكن كان يرجع في العطلات وغيرها وكان يعقد درسًا، إما في بيت والده -رَحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعة- العم إسماعيل مندكار، أسكنه الله -عَزَّ وَجَلَّ- فسيح جناته، وإما في بيت أحد طلاب العلم في الصباحية، وإما في بيت أحد طلاب العلم في الفحاحيل، فكان الشيخ يُدرِس.

- **الأمر الثالث**: وهو أيضًا استفدت من الشيخ استفادة عظيمة في التعامل العلمي؛ وهو أهمية الاتباع وترك التقليد، وأذكر بهذه المناسبة أن الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- صار في هذا الفصل وهو أول لقاء كان له في التدريس معي على وجه الخصوص، ومع زملائنا على وجه العموم، ومنهم ثلاثة هم أحياء، ولعلهم يذكرون هذه القصة؛ أن الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- في مسألة القراءة خلف الإمام جلس -رَحِمَهُ اللهُ- يناقش الأقوال المتعددة، وكان محبًا حبًا عظيمًا للشيخ الألباني وللمشايخ كلهم.

لكن علمنا شيء وبعد ذلك علمنا أن هذه المقالة كانت لابن القيم؛ فكان يقول: "الشيخ الألباني حبيبٌ إلينا، لكن الحق أحب إلينا"، فكان يرى وجوب القراءة خلف الإمام في الجهرية وفي السرية، مع حكايته لأقوال العلماء الآخرين.

الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعالى- في تدريسه.. وأنا ذكرت أن اليوم لن نتحدث إلا عن دروسه، سنتحدث عن الجوانب الأخرى من حياته مما عرفته في محاضراتٍ قادمة، كان -رَحِمَهُ اللهُ- في تدريسه هينًا لينًا مع الذي يقرأ، مع الذي يستمع، مع طلاب العلم، وكان -رَحِمَهُ اللهُ- يُراعي الطلاب الموجودين، فيعرف أن هذا مستمع، ويعرف أن هذا طالب علم جاء يستفيد، فكان يعامل كُلًا بما يناسبه.

من الأشياء التي استفدنا من الشيخ في حياتنا العملية بعد ذلك؛

أنه -رَحِمَهُ اللهُ- كان يشرح الدرس بطريقةٍ سلسة، بأسلوبٍ هينٍ لين، يفهمه الأعجمي الذي يفهم العربية، ويفهمه البليغ الذي هو قُحٌ في العربية، فكان -رَحِمَهُ اللهُ- عنده أسلوب تدريسي يصلح لجميع المستويات العلمية، بينما رأينا بعض مشايخنا ما كانوا يستطيعون النزول على مستوى الجميع، فكان لا يستفيد منه إلا طلاب العلم.

لكن الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- كان في تدريسه كما ذكرت يشرح المسألة العقدية، أو القضية الفقهية، أو يشرح الحديث، أو الآية حينما كنا نقرأ عليه كتب التفسير، وكأنه يُخاطب المستمع الذي هو لأول مرةٍ يريد أن يفهم هذا الخطاب، وهذا كان سبب في إقبال كثيرٍ من الناس على العلم وعلى حب العلم، وإني لأعرف أُناس ممن هم أكبر منَّا بعشر سنوات وعشرين سنة كانوا يحضرون دروس شيخنا بعدما رجع بعد الدكتوراة، بدايةً من سنة (اثنين وتسعين) حيث بدأ الشيخ بالتدريس في مسجد سالم العلي.

وكان الناس يحضرون فيستمعون إلى الأسلوب السلس الذي كان من شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- ووالدنا، فكانوا يحبون العلم، يجدون محبة العلم، وكان -رَحِمَهُ اللهُ- وهذا حق نقوله في حق الشيخ ربما يُشدد على طلاب العلم ما لا يُشدد على العوام، وهذا منه -رَحِمَهُ اللهُ- لأجل أن يتعلم طالب العلم.

وأذكر أني كنت أقرأ عليه الشريعة للآجُري في سنة (ثلاثة وتسعين)، وقد استمرينا في هذا الكتاب سنوات من (اثنين وتسعين، وثلاثة وتسعين، وأربعة وتسعين، وخمسة وتسعين) حتى أنهينا الكتاب، وأنا أذكر أن هذا الكتاب شرحه الشيخ شرحًا والله أحببنا كتب السلف؛ لما رأينا من الشيخ من أسلوبٍ عجيبٍ بديع في التسهيل، ووالله أنا شخصيًا لم أفهم مسائل القدر إلا من شيخنا لما كان وصل إلى [أبواب القدر] من [كتاب الشريعة] للآجُري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-.

فكان الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- وأنا أقرأ مرةً، أنا الذي كنت أقرأ أحيانًا، وأحيانًا يقرأ بعض طلاب العلم الآخرين موجودين بعضهم إلى الآن، فأذكر أني نصبت المرفوع، فقال لي -وهذا أسلوب الشيخ-: "هكذا؟!"، فقالت له: "لا"، قال: "إذًا تعلَّم العربية"، هذه الكلمة التي قالها لي ربما أضحكت بعض زملائنا ممن كانوا يحضرون، وظنوها منقصة، لكن والله أنا تلقيت هذه العبارة من شيخنا كأني أتلقى من الوالد، وهو كذلك بالنسبة لي، فبعد ذلك ذهبت ودرست كتب النحو أكثر مما كنت؛ حتى لا ألحن ولا أقع في اللحن أمام الشيخ.

وكان -رَحِمَهُ اللهُ- في تدريسه يسأل الطلاب، وهذا طريقة السؤال وطريقة الجواب من الأساليب العظيمة التي تُرسِخ المسائل، وكان أيضًا -رَحِمَهُ اللهُ وأسكنه الفردوس

الأعلى- قبل أن يبدأ بدرسٍ جديد يذكر لنا خلاصة لما سبق، لا سيَّما إذا كان له تعلُّق بما هو لاحق.

أيضًا كان الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- في تدريسه البسمة لا تفارقه، وهذا يجعل الإنسان يحب الشيخ، إذا نظر الإنسان إلى من يبتسم إليه أحبه، وإذا أحبه صار صدره واسعًا له، صار الكلام الذي يُلقيه الشيخ له مسمعة للأذن، بلسم على القلب، وهذا كان من أسباب فتح الله على شيخنا، نسأل الله أن يتقبل ذلك منه.

فكان -رَحِمَهُ اللهُ- في أثناء تدريسه لا يفارقه ثلاثة أمور؛

- **الأمر الأول**: البسمة، وهذا هو الأصل المطرد.

- **الأمر الثاني**: الغضب لله -عَزَّ وَجَلَّ- ولرسوله ولدينه وللصحابة -رضوان الله عليهم-، فكنت تراه كأنما أصبح أسدًا يُزمجر إذا جاء موضع الغضب في الدرس، لا سيَّما إذا تكلم المتكلمون، وتفلسف المتفلسفون في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وفي كلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلا يأخذ شيخنا في الله لومة لائم، ويصبح يتكلم عليهم، ويُبين عوارهم، ويكشف شنار أقوالهم بأسلوبٍ علميٍ متين، مبنيٍ على النقل والعقل.

وكان -رَحِمَهُ اللهُ- قد هضم كلام شيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-، بل كان سببًا في حبي لشيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذلك.

- **الأمر الثالث**: الذي ما كان يفارق درسه، وهذا أمرٌ يشهد له كل من حضر الشيخ أنه -رَحِمَهُ اللهُ- كان لا يذكر صفةً من صفات النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أو لا يأتي مسألة الصحابة إلا والدمعة تنزل من عينيه -رَحِمَهُ اللهُ تَعالى-.

وبهذه المناسبة كلما أُثني على الصحابة وأُدافع عن الصحابة وأذكر الصحابة فإنما هو غيضٌ من فيضٍ مما عند شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ تَعالى-، والله ما تعلمنا حب الصحابة -

رضوان الله عليهم- والدفاع عنهم ونشر مآثرهم إلى منه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-، فكان عينه تدمع إذا جاءت القضية في الصحابة، فتجده -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى- أسدًا يُزمجر في الدفاع عن الصحابة -رضوان الله عليهم-، في الدفاع عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الدفاع عن السنة، وتجد البسمة على مُحياه إذا جاء في بيان محاسن الإسلام، أخلاق الإسلام وغير ذلك.

مما استفدته من شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- التواضع الجم في المسائل العلمية، من أعجب ما رأيته في شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- أنَّا كنَّا نأتيه بالفائدة، ونظن أنَّا قد حصلنا شيئًا ليس عند شيخنا، وهذا اكتشفته بعد ذلك، فكان يسمع لنا ونحن نقول له الفائدة، سواءً بعد الدرس أو في السيارة أو بعد الصلاة قبل أن ينصرف إلى بيته، وكأنه لأول مرةٍ يسمع هذه الفائدة.

وكان هذا ديدننا أنا والمشايخ الدكتور/ دهام، والإخوة الآخرين الدكتور/ بدر المري، والإخوة الآخرين طلاب العلم الذين كانوا يحضرون لشيخنا، كنا ننقل له بعض الفوائد، أخونا/ عبد العزيز الفضلي وغيرهم، فكان -رَحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعة- يستمع إلينا كأنه لا يعلم عن هذه الفائدة شيء، إلى أن حصل مرة من المرات أن طلب مني أن آتي له بكتابٍ له؛ وهو [شرح العمدة]، فأتيت بكتابه.

ولما جئت إلى الشيخ في الطريق كان معي كتب أخرى انفتح الكتاب، وإذا هناك تعليقات وفوائد مكتوبة على طُرة الكتاب من الجانب واليمين واليسار، ومنها فائدة الله أعلم الشيخ متى كتبها، وأنا كنت ذكرتها للشيخ أمس وكأنه لم يسمع بها، فعلمت أن شيخنا إنما يفعل هذا ليُشجعنا على البحث وعلى النظر، لا أنه لا يعلم هذه الآثار أو هذه الأقوال، من تواضعه الجم في العلم.

وهذا مع الأسف نسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يُصلحنا وأن يُصلح أحوالنا وأحوال طلاب العلم، هذه الصفة مفقودة في.. لا أقول في بعض بل في كثيرٍ من طلاب العلم، كان -رَحِمَهُ اللهُ- إذا قال قولًا ثمَّ تبين له بتنبيه أحدٍ من زملائه أو طلابه أنه خطأ والله لا يُجادل، ولا يُناقش، يقول: نعم خطأ، وأنا شخصيًا أذكر هذا فقد كنت أسجل دروس شيخنا، ثمَّ بعد ذلك أثناء الكلام وأثناء الدرس أجد أن هناك للشيخ سبق كلام، فأخبر الشيخ فيقول: احذفه، لا يجادل ولا يُناقش، وهكذا ينبغي أن يكون طلاب العلم، يكون عندهم تواضع.

حتى أني مرة من المرات كنت معه، وكان معنا بعض الإخوة المشايخ، نزور شيخنا الشيخ/ عبد المحسن العباد، فقلت للشيخ فلاح: "يا شيخ فلاح؛ أنت كثيرًا ما تقول الله أعلم، وشيخنا عبد المحسن العباد يقول كثيرًا الله أعلم، فكيف هذا!"، قال: "إذا جئت عند الشيخ عبد المحسن العباد اسأله"، وهذا كان في الحج، وإن لم تخونني الذاكرة كان في حجي سنة (ألف وأربعمائة اثنين وثلاثين) أو (ثلاثة وثلاثين) هجريًا، وكان الشيخ عبد المحسن في التوعية مع وزارة الشئون الإسلامية في مقره في العزيزية.

وذهبنا إلى الشيخ، ففي نفسي قلت: "لن أسأل الشيخ إلا هذا السؤال حتى نتعلم"، فالمشايخ سلموا على الشيخ وسلمنا وأحوالنا، وسألناه بعض المسائل، فلما جاء دوري قلت: "يا شيخنا؛ عندي سؤال واحد، كثيرًا ما تقول الله أعلم، كيف نجعل هذه الكلمة على ألسنتنا؟"، فقال الشيخ: "هو صعب، قل الله أعلم ما دام ما تعلم"، نعم هي هذه الكلمة، فشيخنا ووالدنا أبو محمد -رَحِمَهُ اللهُ- تعلمنا منه ألا نُجادل في الخطأ، تعلمنا منه أن نقول: الله أعلم.

وأذكر أيضًا أن شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- كان إذا جاءه بعض العوام يستفتيه في بعض المسائل، ومن ذلك مسائل الميراث، وأذكر هذا كأنه بالأمس؛ جاءه شخص وهو في

مسجد سالم العلي وعنده مسألةٌ في المواريث، فقال الشيخ: أعطني الوارثين وسآتي لك بالقسمة، وكان الوارثون كثُر، ولم يستعجل الشيخ الجواب لكثرة الوارثين حتى لا يُخطئ، وهذه أموال وحسابات لو دينار واحد وقع فيه الخطأ سيقع في كل القسمة خطأ.

وكان شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- في تدريسه دائمًا وأبدًا يحثُنا على أمرٍ عظيم؛ وهو ألا نقول قولًا إلا ولنا فيه سلف، وكان كثيرًا ما يُردد لنا مقولة بعض السلف: "إن استطعت ألا تحُك جلدك إلا بأثر فلا تفعل"، هذه استفدناها من الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-.

ومما استفدنا من الشيخ في دروسه: أنه -رَحِمَهُ اللهُ- لا يقدم على كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأقوال السلف شيء أبدًا، أي نعم قد يُحاجج بعض الأمور بالأسلوب المنطقي، وقد أتاه الله -عَزَّ وَجَلَّ- ذلك، كيف لا وقد تتلمذ على الشيخ/ عبد الكريم مراد -رَحِمَهُ اللهُ تَعالى-.

بهذه المناسبة شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- درَس على مشايخ كُثُر، وبحمد الله يسر الله لي أن حصل لي الديباجة معه في الكثير من مشايخه، لكن درَس على مشايخ لم أُدركهم؛ منهم الشيخ عبد الكريم مراد، فأنا لما ذهبت إلى المدينة كان الشيخ عبد الكريم مراد -رَحِمَهُ اللهُ- صاحب كتاب [تسجيل المنطق] كان مريضًا، مقعدًا على فراشه لا يستطيع الحراك، ثمَّ توفاه الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

فكان شيخنا إنما يُجادل ويُناقش الأدلة العقلية بعد أن يكسرها من جهة الدليل النقلي، وكثيرًا ما كان -رَحِمَهُ اللهُ- يتعجب من المتكلمين ومن عقولهم، ويقول: "أين عقولهم وهم تركوا مدلول الكتاب، ومدلول السنة، ومدلول ما ذهب إليه سلف الأمة، وتركوا المنطق والعقل الذي هم يقولون به!!".

وكان -رَحِمَهُ اللهُ- آيةً في الثبات على الحق، ربما قال بعض الأقوال لأن الدليل ظاهرٌ فيه، ولا يُبالي بمن خالف ولو كان الجمهور، وكان يقول -رَحِمَهُ اللهُ- لنا: "لا تكونوا جمهورين، وكونوا متبعين"، فليس دائمًا يكون قول الجمهور هو الصواب وهو الصحيح.

وأذكر مرةً.. وهذا أيضًا مما نستفيده من شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ-، وعرفت هذا منه أننا نُقرر الحق، قبله من قبله، وأعرض عنه من أعرض، فالله -عَزَّ وَجَلَّ- قال لرسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] فعلينا البلاغ، وربما كان يقول له بعض طلبة العلم: يا شيخ؛ تقول كلام ربما هؤلاء الناس يُعرِضون عنه ولا يقبلونه، فكان يقول -وكان رَحِمَهُ اللهُ عظيم العناية بالأدلة الشعرية والاستشهادات الشعرية-:

عليّ نظم القوافي من معادنها		**وماذا عليّ إذا لم تفهم البقرُ**

وكان -رَحِمَهُ اللهُ- في تدريسه.. وهذه مسائل أنا أذكرها جيدًا، ونستفيد منها في حياتنا، وهو إرثٌ متروكٌ لطلابه، كان -رَحِمَهُ اللهُ- لا سيَّما في شبابه قبل أن يُصاب بالمرض والسكر وبآلام في قدمه، كان -رَحِمَهُ اللهُ- شعلةً من نشاط، حتى إني مرةً أذكر أنه كان في اليوم الواحد ندرس عليه خمسة كتب، كيف ذلك! كان يذهب بعد صلاة الفجر كنا نقرأ عليه [تفسير ابن كثير]، ثمَّ يذهب إلى الكلية ثمَّ يرجع، وبعد صلاة العصر نقرأ عليه كتاب، وفي الطريق ونحن معه في السيارة نقرأ عليه كتاب، وبعد المغرب عنده الدرس المعروف سواءً في الشريعة أو في المسائل الأخرى، الدروس الأخرى الطحاوية الواسطية.. إلى آخره، وبعد العشاء درس، فهذه ستة دروس للشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- فقد كان بازلًا نفسه للعلم.

ومما ينبغي أيضًا أن نقتدي بالشيخ فيه أنه -رَحِمَهُ اللهُ- كان لا يترك تدريس الكتب العقدية، أي نعم هذا تخصصه، لكن ليس لمجرد التخصص كما يفهم البعض، فكم رأينا من المتخصصين في الاعتقاد ليس عنده درس في كتب الاعتقاد! ولكن لأن الناس بحاجةٍ إلى التوحيد أعظم من حاجتهم إلى الهواء، وأعظم من حاجتهم إلى الماء، فكان شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- ينتقل في بساتين، وفي ثمار، وفي أزهار كتب العقائد، فيُدرِس (الواسطية وكتاب التوحيد، والأصول الثلاثة، والقواعد الأربعة، والأصول الستة)، ويُدرِس (التدمرية، والحموية) إلى آخره.

وكما ذكرت حببنا إلى أئمة الإسلام، إلى أئمة السنة، كان -رَحِمَهُ اللهُ- عظيم الحب لعلماء أهل السنة، لا يذكر محنة الإمام أحمد إلا ويبكي، وأذكر أنَّا لما كنا نقرأ كتاب الشريعة لما مرَّ علينا [قضية مسألة خلق القرآن] والله ما استطاع الشيخ أن يكمل الدرس، ووقفنا ووقفه الشيخ وصار يبكي -رَحِمَهُ اللهُ- وهو يذكر مآثر الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى-.

حببنا إلى أئمة السنة، عرفنا قوام السنة، عرفنا كذلك الإمام ابن خُزيمة، درَسَنا [كتاب التوحيد] لإمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خُزيمة، من كان يُدرِس هذا الكتاب أصلًا! من كان يُدرِس كتاب الشريعة أصلًا! كل الذين درَسوا كتاب الشريعة إنما كان بعد الشيخ فلاح، كل الذين درَسوا [كتاب التوحيد] لابن خُزيمة إنما كانوا بعد شيخنا ووالدنا، وهذه أوليات تُحسب لشيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- في هذا الزمن.

وكان عظيم الحب للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ-، وسمعته بأذني مرارًا وتكرارًا يقول: "إنَّ لهذا الإمام علينا مِنة بعد مِنة الله -عَزَّ وَجَلَّ-"؛ وذلك أنه جدد الله به الملة، فأحيا السنة، ولو أن الله لم يجعله سببًا في نشر السنة لما كُنا ندري ماذا كان

حالنا، والناس نراهم اليوم عند أي قبرٍ هم رابضون، إلى أي وليٍ هم يتوجهون، وبأي بشرٍ هم يستغيثون، بينما نحن نقول: يا الله، غيرنا يقول: يا ولي الله! بينما نحن نقول: يا حي يا قيوم، غيرنا يدعو الأموات!

هذا من مآثر شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ-؛ جعلنا نحب أئمة الإسلام، وأئمة السنة، وكان -رَحِمَهُ اللهُ- في درسه يكتب بداية الدرس والتاريخ، وإذا وقف كان يكتب "بلغ"، هذا بالنسبة لما يتعلق في دروسه في المساجد، أما في الجامعة فأنا لم أدرس على الشيخ، وإنما درس عليه من درس، وربما يكونوا هم أدرى مني في دروس الشيخ، ولكن هذا الذي ذكرته إنما رأيته وعرفته من شيخنا عن قرب، فقد درست عليه أكثر من (خمسة عشر) كتابًا من المطولات والمختصرات.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يبارك في ذريته وتلامذته، وأن يجعل ما نقوم به في موازين حسناته.

وفي ختام هذا المجلس -ولن يكون الأخير إن شاء الله- أقول: "والله لولا الشيخ فلاح بعد فضل الله -عَزَّ وَجَلَّ- لما كان الطاهري ولا راح"، كما قال الإمام الدارقطني -رَحِمَهُ اللهُ- عن الإمام مسلم قال: "لولا البخاري ما جاء مسلمٌ ولا راح"، وهذا والله شهادة حق أفتخر به من وجه، وأذكره من مآثر شيخنا من وجهٍ آخر، فإن له اليد الطولى على العبد الفقير؛ حيث أخذ بيدي في طلب العلم.

وأسأل الله الكريم أن أكون في ميزان حسناته، وقد كان يوم أن كان حيًا آتيه وأُقبل رأسه، وأقول له: "يا شيخ؛ ما أنا إلا في ميزان حسناتك"، فيُطلق رأسه ويقول: "جزاك الله خيرًا"، ونحن نقول: جزاه الله خيرًا، نسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجزيه خير ما جازى شيخًا عن طلابه، وخير ما جازى عالـمًا عن أهل زمانه.

وإلى لقاءٍ آخر في حياة شيخنا -إن شاء الله- وصلِّ اللهم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

والله أعلم.

المجلس الثاني

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه جعل سيرة العلماءِ منارةً للعاملين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين، **وبعد**...

فهذا هو اللقاء الثاني في سلسلة لقاءاتنا إن شاء الله -عَزَّ وَجَل- حول والدنا وشيخنا أبي محمد الشيخ فلاح بن إسماعيل وهي بعنوان: [**الشيخ فلاح كما عرفته**].

ونتحدث في هذه المحاضرة عن أخلاقه -رَحِمَه الله رحمةً واسعة-، وحينما أتحدث عن أخلاق الشيخ فإنما أعني به ما قد لمسته أنا بنفسي، ولا أقصد ما وراء ذلك، فلعل من الإخوة وطلاب العلمِ وطالبات العلم من قد اطلع على شيءٍ من أخلاق الشيخ مما لم اطَّلع عليه.

وإنما أوردُ في هذا الباب ما عرفته من شيخنا عن قربٍ.

❁ **أخلاق الشيخ:**

أما أخلاقه: فهي أنه -رَحِمَه الله- كان يبذل وسعه في التخلق بأخلاق النبي الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- والصحابة -رضوان الله تعالى عليهم-؛ ولذلك كانت السمة التي بها إطلالة الشيخِ وهي علامةٌ بارزةٌ في سِمَا الشيخ هي البسمة، هذه البسمة لا تكاد تفارقه إلا أن يورَد عليه همٌّ متعلقٌ بأحوال المسلمين، أو غمٌّ متعلقٌ بأحوال أمة محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

وهذه البسمة كانت هي الأصل والرائدة في إطلالة الشيخ، ولكن أحيانًا حتى في دروسه وفي تعامله مع الناس ربما تنقلب إلى غَضْبَةٍ إذا أحس أن ثمَّ شيء يتعلق في دين الله -عَزَّ وَجَل-.

وهو -رَحِمَه الله- بشرٌ يعتريه ما يعتري البشر، لكن كفاه نبلًا أن غالب حاله البسمة والتبسم؛ ولهذا كنا ونحن في أشد الحالات تعبًا ونصبًا مثل أيام الحج، أو في عمرتنا مع الشيخ كنا إذا رأينا بسمته أحسسنا أن التعب قد أزيل عنا، بل ربما كان أحدنا وأتكلم عن نفسي وعمَّن كان معنا من طلاب العلم مع الشيخ في الحج كنا ربما نخفي تعبنا لما نرى من بسمة الشيخ وضحكه، وكان -رَحِمَه الله- ربما يضحك ضَحِكًا يُمْسِك نفسه وهذه يدلنا على أنه كان خفيف الظل كما يقال.

فكان -رَحِمَه الله رحمةً واسعة- كان كانت الكلمة ربما تضحكه، والموقف ربما يضحكه، والعجب أننا في أشد الحالات كنا نرى منه البسمة، وأذكر هذا يوم أن حصل لنا حادث ونحن في الحج أن الباصات باصات الحجاج كانت مسرعة، ثم قدَّر الله -عَزَّ وَجَل- أن بعض الباصات تصادمت بعضها ببعض، وممن تألَّم وأصيب بشيءٍ من الخدوش شيخنا -رَحِمَه الله تَعَالَى-، لكن العجب أنَّا لما أتينا نتحمد له بالسلامة، إذا به يضحك ويقول: كنت أقول للسائق خفف، يقول: ما أمداني أن أكمل الكلمة إلا وحصل الحادث ويضحك -رَحِمَه الله تَعَالَى-، فالبسمة هي تطبيقٌ عملي لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَة».

وهذه البسمة كانت من الشيخ مبذولة للفقير والغني، والوضيع والرفيع، والعامي وطالب العلم، والصغير والكبير، بل ربما كان يزيد في هذه البسمة لمن كان محتاجًا إليها،، فإذا جاءه من لا يعرف الشيخ ويقع في قلبه هيبة الشيخ، ومكانة الشيخ ينبسط له

الشيخ حتى يتعود السائل عليه كأنه يعرفه منذ سنين، يقول لي أحد الحجاج في أحد السنوات وقد أُنْسِيت في أي سنةٍ كان هذا الحديث وقد حججت مع الشيخ قرابة عشرين سنة ولم يفُوتني من هذه السنوات الحج إلا مرةً غابَ فيها هو، ومرةً غبت فيها أنا، يقول أحد الحجيج: أول مرة أحج وكنت أسمع عن الشيخ فلاح إسماعيل، وأسمع له بعض الدروس، يقول: فلما قيل لي: إن الشيخ فلاح هو مرشدكم في الباص، يقول: دخل في قلبي المهابة والرعب كيف سأسأل هذا الشيخ المهيب؟ يقول: ما إن ركب الشيخ معنا إذا به بعد الحمد والصلاة على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أنظر إلى بسمته ثم إلى ضحكاته مع الحجيج وإذا بذلكم كله قد ذهب، وكأني أعرف الشيخ منذ سنين -رَحِمَه الله رحمةً واسعة-.

❁ **ننتقل إلى لين الشيخ وشدته:**

كان -رَحِمَه الله- ليِّن الجانب، وكان من لين جانبه أنك إذا صليت عن يمينه أو عن شماله إذا لم يكن إمامًا كنت تجد ليونةَ الجانب في جسده قبل أن تجده من مُحَيَّاه، وقبل أن تجده من قلبه الرقيق، حتى إني أحيانًا وهو يقدمني وأصلي بالناس لأرى بعض الناس من شدة إلصاق قدمه على الشيخ وبالشيخ يكاد يكون يضع قدمه على قدم الشيخ، والشيخ يلين له الجانب كأن شيئًا لم يكن مع كِبَرِ سنه، وليونة عظامه، وما أصابه من آلامٍ في قدمه.

كان الشيخ ليَّن الجانب إلى درجة أننا نحن طلاب العلم من تلامذته نستغرب من الشيخ تنزله ولين جانبه مع بعض العوام سواءً في الحج أو في الدروس، أو في ديوانه كنا نستغرب هذا من الشيخ، لكن والله إن هذه الذي كان يفعله الشيخ كان يعطي ثمارًا عظيمة، فكان ليِّن الجانب.

وأذكر أنه في أحدِ السنوات ولا أذكر الآن التواريخ لأنها ربما تكون فيها شيء من عدم اليقين، لكن قطعًا هو قبل ستٍّ وتسعين من الميلاد؛ أي قبل عام ستة عشر وأربعمئة وألف من هجرة المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، كنا في درس في شرح [العمدة] في الفحاحيل في مسجد سالم العلي، وكان الشيخ يُدَرِّس، فمن لينه -رَحِمَه الله- أنه جاء رجل عامِّي، والشيخ في الدرس يقول: يا شيخ، عندي سؤال. والله من لين الشيخ أنه أوقف الدرس وجعل يستمع إلى السائل بلا مبالغة قرابة خمس دقائق وهو يسأل، ونحن تململنا ونحن الطلاب، مع أننا نحن المستفيدون من سؤال هذا السائل، لكن تململنا والشيخ أطرق رأسه ويستمع عليه، فلما انتهى من سؤاله أجابه ثم رجع إلى الدرس. وهذا من لينه -رَحِمَه الله-.

وأذكر من لينه -رَحِمَه الله- وقد كان إمامًا في مسجد سالم العلي وهذا قبل أن ينتقل إلى سكنه في منطقة الزهراء، فكان إمامًا في مسجد سالم العلي. بعد الدرس أقيمت الصلاة فتقدم الشيخ للصلاة، -والآن أنسيت هل هي صلاة المغرب، أو صلاة العشاء، لكن غالب ظني أنها صلاة العشاء- فجاء رجلٌ من أقصى يمين الصف كَث اللحية، طويل الجثة يقول: يا شيخ، لا تصلِّ بالناس، ما نريدك أن تصلي بالناس. من لين الشيخ ومن طريقته في امتصاص غضب الغاضبين قال له: تفضل أنت صلِّ بالناس. فقال الرجل: لا، أنا ما أصلي. فتعجبنا! وكدنا أن نَهِم بهذا الرجل حتى جاء رجل من الخلف وأمسكه، وإذا بنا بعد ذلك علمنا أن هذا الرجل يأخذ بعض الأدوية والمنشطات من مستشفى الأمراض النفسية، وقد أطلِق بناءً على طلب أهله وكفالتهم، لكنهم تركوه، فعادت حالته إلى هذه الشدة والغلظة.

لكن تعجبنا من لين الشيخ، وتعامله مع هذا الرجل، لو كان أحدٌ آخر، لو كنت أنا مكانه لما التفت إلى هذا الرجل، ولما ألنت له الكلام، وربما حصل فتنة، لكن الشيخ بلينه وليونته يعني امتص غضب هذا الرجل بطريقة جميلة وعظيمة، لكن هذا لا يعني أن شيخنا -رَحِمَه الله- لم يكن شديدًا، فقد كان شديدًا في الحق، وهذا رأيناه منه كان عظيم الشدة، والغِلظَة في الحق لا سيما إذا تبين.

☜**وهنا أنبه على أمر**، وقد كان هذا منهجًا لشيخنا من لم يفهم منه هذا المنهج يظن التناقض من الشيخ، لكن هذا كان منهجه، كان -رَحِمَه الله- شديدًا في مسائل الاعتقاد، وكان لا يتسامح في مسائل الاعتقاد؛ لأن مسائل الاعتقاد إيمانٌ وكفر، سُنَّةٌ وبدعة، أما المسائل الفقهية فربما الشيخ يفتي بشيء، فيأتي أحد آخر يخالف فتواه، ونجد الشيخ هينًا ليِّنًا لا يكاد حتى يُلزمه برأيه. وهذا ليس تناقضًا، لكن هذا لأن شيخنا -رَحِمَه الله- من طيلة ما التزمناه علمنا أنه كان يفرِّق بين المسائل الاعتقادية، وبين المسائل الفقهية؛ فعنده مسائل الاعتقاد مسائل غير قابلة للنقاش، غير قابلة للرد والأخذ والعطاء، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، والإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

ولهذا أذكر أن رجلًا جاء وكان طويل اللحية، نحيف الجسم، طويل القامة صلى مع شيخنا المغرب فلما انتهى من الصلاة قال للشيخ، وأراد أن يقوم للدرس، قال: أنا جئت أناظرك أناقشك في مسألة عذاب القبر. فالتفت إليه الشيخ التفات الأسد وإذا به مغضب، فقال له: الآن قبل أن تسلم ألم تقل: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات. قبل أن تُسَلِّم؟ قال الرجل: بلى. قال: انتهى، بس، قم، لا أريد أن أناقشك. فتركه الشيخ وذهب إلى درسه، ونحن ننظر إليه وإذا بالرجل فعلًا أفحِم.

لكن في المسائل الفقهية كان الشيخ -رَحِمَه الله- لا يتشدد أبدًا. **وسأضرب على ذلك مثلين:**

➢ **المسألة الأولى**: في سياقة المرأة للسيارة. فكان الشيخ -رَحِمَه الله- لا يتشدد في هذه المسألة، مع أن له فتوى في هذه المسألة يوافق فيها رأي الشيخ الألباني -رَحِمَه الله- ، وهو الجواز إذا كان بِسِتْرٍ وحشمة. وكان من طلاب العلم من أقران الشيخ وممن هو دون الشيخ في الطلب أو في العلم من كان يرى رأي الشيخ ابن باز، لكن الشيخ ما كان يتشدد معهم. هذه المسألة الأولى.

➢ **المسألة الثانية**: وهي أنا بنفسي تكلمت مع والدنا وشيخنا -رَحِمَه الله- حتى فهمت وجهة نظره، ثم سرت عليه بعد ذلك وهو: أنه -رَحِمَه الله- كان إذا سئل عن الصور الفوتوغرافية يفتي بفتوى مشايخنا الكبار، الشيخ ابن باز، والألباني، وابن عثيمين: بحرمة هذه التصاوير الفوتوغرافية، وأنه لا يجوز منها إلا ما كان على قدر الضرورة، فرأيت مرةً شيخنا في الحج وهو جالس فجاء إليه رجل قال: أريد أن أصَوِّر معك، فقال له الشيخ: أنت ورأيك، أنا لا أرى التصوير، فصوَّر الرجل وبعدما ذهب جلست معه قلت: يا شيخنا الكريم، والدنا منك نتعلم رأيك الذي تفتي ونعلمه منك أنك ترى أن التصوير الفوتوغرافي يدخل في عموم الأدلة. قال: نعم، هو كذلك. فقلت له: لكن الآن جاء الرجل وأراد أن يصور معك. قال: نعم، لكن هو يرى أن التصوير مباح، فأنا لا ألزمه برأيي؛ لأن إدخال التصاوير هذه في العمومات ظنية، وليست قطعية، إذ لو كانت قطعية لما كانت المسألة خلافية، فهذا أيها الإخوة يدلنا على عظيم فهم الشيخ، ومن هنا ندرك كيف يكون شديدًا؟ ومتى يكون لينًا في مسائله؟

❁ **صلته للرحم:**

ننتقل إلى مسألةٍ أخرى من صفات الشيخ وهي صلته للرحم: والله إن الشيخ -رَحِمَه الله رحمةً واسعة- كان في نظري القاصر وأنا أتكلم عن مشايخي ككل سواءً الذي كان لي معهم صلة قوية كأبي عبد العزيز الشيخ عبيد بن سليمان الجابري، أو كالشيخ عبد المحسن العباد، أو غيرهم من المشايخ، أنا أقول: إن شيخنا الشيخ فلاح كنت من ألصق الناس به، لكن لمست منه صلةً عجيبةً متناهية ليست للرحم فقط، بل صلةً للرحم، صلةً للصحبة، صلةً للمشيخة، صلةً للتلمذة. هذه أربعة أمور، وربما كنت أقول له: يا شيخ، أين تريد، قال: أذهب إلى الأحمدي إلى فلان من جماعتنا مريض، يذهب إلى مستشفى الأحمدي. يا شيخ، أين تريد؟ قال: أذهب إلى أبي جاسم لزيارته فهو مريض -رَحِمَه الله رحمةً واسعة-. فكان من أوصل الناس بأهله وإخوانه وأصحابه، أوصل الناس للرحم، كل من يصل به رحم سواءً من جهة الوالدين، أو من جهة الأنساب والأصهار، فقد كان الشيخ عظيم الصلة بهم.

➢ **صلته بمشايخه:**

وأما صلته بمشايخه فهذا من أعجب ما كان، وأذكر أن الشيخ بديع الدين السندي الراشدي -رَحِمَه الله تَعَالَى- محدِّث الديار الهندية محدث المدينة سمع شيخنا أنه قد قدم إلى الكويت، فقال لنا: الشيخ قد جاء إلى الكويت، لا بد أن نعرف أين هو؟ ونستضيفه، فأضافه الشيخ وعانقه وسلم عليه و و إلخ، ودعا الناس إلى وليمةٍ كبيرةٍ في بيته بالفحاحيل، ومن هناك أجازنا الشيخ بديع الدين السندي الراشدي بإجازاته، فكان شيخنا فلاح -رزقه الله عز وجل الفلاح والفوز في الفردوس الأعلى- سببًا لصلتنا بأسانيد الشيخ بديع.

✪ **الشاهد**: أنه كان عظيم الصلة بمشايخه، كان إذا زار المدينة –وهذا الكلام قبل أن أقبل أنا في المدينة سافرت مع الشيخ ثلاث مرات قبل قبولي للجامعة الإسلامية، فكلما ذهبنا إلى المدينة كان في بالنا أن نزور المشايخ الكبار الذين نعرفهم، وإذا بالشيخ يفتح لنا آفاقًا ويعملنا تطبيقًا كيفية صلة مشايخنا. وهذه والله نحن في قصور، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجزي مشايخنا خير الجزاء، وأن يتجاوز عنا التقصير.

فمرةً أذكر: قال الشيخ: نذهب إلى شيخنا عبد القادر السندي –رَحِمَه الله–. فقلت: يا شيخ من عبد القادر السندي؟ قال: ما تعرفه؟! هذا الرجل الذي أَلَّفَ مجلدين في الدفاع عن أبي هريرة –رَضِيَ الله عَنْهُ–. والله لما قال هذا الكلام أحببته وأنا لم أره، فذهبنا إلى الشيخ وإذا هو مريض على فراش الموت، فكتب الله –عَزَّ وَجَل– لنا اللقاء بهذا الشيخ.

وأذكر قال لنا مرةً: نزور الشيخ عبد الصمد الكاتِب، وأذكر أن الشيخ قال لنا: نزور الشيخ أبو بكر الجزائري، وإذا بالشيخ يفتح لنا آفاق للقاء مشايخه فضلًا عن الشيخ ربيع، فضلًا عن الشيخ عبيد، فضلًا عن شيخنا الشيخ صالح السحيمي، عن الشيخ صالح العبود. عن غيره من المشايخ الذين كان الشيخ قد درس عليهم، وكانوا في المدينة ولا وزالوا.

➢ **صلته بأصحابه:**

وكان الشيخ عظيم الصلة بأصحابه، ومن أعجب ما رأيت: أن أحد زملائه الذين تخرجوا معه من الجامعة الإسلامية كان الشيخ كل سنة يتعاهده في مكة، وكان يتعاهد زملاؤه الذين تخرجوا معه من الهند، ومن موريتانيا، ومن بنين، ومن، ومن الدول المختلفة، والشيخ ماميدو في الأمثلة على ذلك، فقد كان الشيخ عظيم الصلة لأصحابه.

➢ **صلته بطلابه:**

كذلك كان الشيخ عظيم الصلة بطلابه. وسأذكر لكم أمرين يدلان على هذا:

⇦ **الأمر الأول**: أن أخانا الشيخ خالد القحطاني –عافاه الله عَزَّ وَجَل– لما مرض تصوروا مع أني كنت حريص على زيارة الشيخ خالد لما خرج من المستشفى وصار في البيت، والحمد لله الذي أتم له العافية ونسأل الله أن يتم له العافية والشفاء تفاجأت أن شيخنا فلاح قد سبقني إلى زيارته، مع أن الشيخ خالد في طبقة تلامذة الشيخ. هذا مثالٌ أول في تعهد الشيخ لتلامذته.

⇦ **المثال الثاني**: أني لا أذكر أنه يمر أسبوع على الشيخ فإذا لم يراني، أو لم أتصل به إذا به هو يتصل بي، إما من تليفون هاتفه الأرضي، وإما من هاتف أحد من الذين معهم الجوالات سواءً أخونا أحمد غربي، أو أخونا محمد سعد بن شبعان المطيري، أو أخونا أبو عبد الله الشيخ تحسين. وغيرهم.

بل أعظم من هذا أن الشيخ –رَحِمَه الله– وكان عضوًا في الإفتاء كان إذا جاء يوم الأحد في لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف يحب أن يراني قبل أن يعقد الاجتماع، أو بعد أن يعقد الاجتماع، يقول: هذه فرصة نراك فيها. وإني والله لأستحي، لكن هذا دليل على عظيم صلة الشيخ –رَحِمَه الله تَعَالَى–، فكان عظيم الصلة للرحم، وكان أوفى الناس فيمن رأيت بأصحابه.

ولم أرَ أحدًا وفيًّا لأصحابه مثل اثنين:

– أحدهما شيخنا ووالدنا الشيخ فلاح إسماعيل.

– والآخر شيخنا وزميلنا وأخونا الشيخ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.

ومن وفائهما لزميليهما الشيخ شمس أن الشيخ فلاح حتى مماته لم ينس تعهده بأبناء الشيخ شمس، وهكذا الشيخ الخُميس جزاه الله خيرًا.

❁ ننتقل إلى مسألةٍ أخرى فيما يتعلق في أخلاق الشيخ وهو الحديث عن تواضعه:

وهذا بابٌ عظيم نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزقنا التواضع، التواضع كلمة سهلة، لكن في التطبيق العملي الأمر ليس بسهل، لكن كنا نراه في حياة الشيخ كان متواضعًا في حديثه، لا يتكلف في الكلام، وإنما يتكلم بما في قلبه، مع أنه -رَحِمَه الله- كان أديبًا، وهذه أنا أعلمها منه على وجه الخصوص، فإنه كان قد قرأ كتب الرافعي ، قرأ كتب المنفلوطي، قرأ كتب الزمخشري، قرأ كتب مقامات الحريري، وإلى آخره، لكن كان يتواضع في الحديث فيتكلم بما في قلبه فيجري على لسانه ما هو في قلبه، وهذه مسألة مهمة عظيمة جدًّا، فكان متواضعًا في الحديث.

أيضًا كان متواضعًا في المناقشات ولم يكن همه الغلبة، وإنما كان همه بيان الحق؛ ولهذا أذكر في أحد المرات جاء إليه رجل، وكان يريد أن يناقش الشيخ في إنشاء الأحزاب، وكان هناك ثلاثة من طلاب الشيخ وأنا رابعهم، فالشيخ يسمع منه، بعدما تكلم تكلم في مسألة إنشاء الأحزاب، وفي مسألة هل الحزب الفلاني من الفرقة الناجية أو من الفرق الهالكة؟

فقال الشيخ وهو من تواضع لا يمكن أن يصدر من إنسان يرى من نفسه الرفعة قال لطلابه ومن ضمنهم أنا: ما تقولون أنتم؟ أذكر أحد زملائي قال لهذا الرجل الذي جاء يناقش، قال: أسألك: أليس في هذا الحزب المتصوفة؟ قال: بلى، قال الآخر: أليس في هذا الحزب من هم يرى رأي الخوارج صريحًا في تكفير الحكام وفي تكفير المجتمعات المسلمة التي لا تنضوي تحت لوائهم؟ قال: بلى، قال: إذن كيف أنت تجعل هذا الحزب

وهذه الجماعة من الفرق الناجية، وفيهم هذه الأوصاف؟! فقال الشيخ ملتفتًا إلى هذا الرجل بكل تواضع وفخر: يكفيك ما قالوا، وقام ترك الرجل.

وكان أيضًا -رَحِمَه الله- متواضعًا مع طلابه، وهذا قد ذكرته في المحاضرة السابقة فلا أعيد، ومتواضعًا مع زملائه، فكان إذا جاء إلى مكان يوجد من هو شيخه، أو يوجد من هو زميله كان لا يتحدث إلا أن يُلزَم إلزامًا، وكم مرةً كان هو والشيخ فلاح ثاني موجود، والشيخ صالح السحيمي موجود، والشيخ سليمان الرحيلي موجود، والشيخ وصي الله عباس موجود، ومرةً كان هو والشيخ إبراهيم الرحيلي موجود، والشيخ سالم الطويل موجود، والمشايخ، وكان الشيخ يكل الكلام إلى غيره، ولا يتكلم إلا إذا أُلزِم.

وكان أيضًا -رَحِمَه الله تَعَالَى- متواضعًا مع المأمومين. وهذا رأيته منه يوم أن كان إمامًا كان ربما يأتيه المأموم ويقول: يا شيخ، قد أطلت الصلاة، أو أطال فلانٌ بنا الصلاة، فيقول له خيرًا، ويعده خيرًا، ثم ينصرف ذاك الرجل.

كذلك كان متواضعًا مع الناس، وهذا من الأمور العظيمة التي رأيناها مع الشيخ، فكان إذا كان مع الناس كأنه من أدناهم لا يجد أحدٌ منهم رفعةً للشيخ، وكان من تواضعه أنه إذا دخل المجلس يجلس حتى انتهى به المجلس، إلا أن يُلزَم بالجلوس في مكانٍ معين، فكان يجلس حيث يجلسه مُضَيفُه.

وكان كذلك متواضعًا في لباسه. وهذا من أعجب ما رأيته في الشيخ، قلنا له مرة وكان هناك مؤتمر: لو يا شيخ لبست البشت فإن فلان وفلان ممن هو من زملائك، أو ممن هو دونك يجلسون معك وقد لبسوا البشوت، وهذه سمات أهل العلم. فقال الشيخ: أنا لا ألبس البشت. فكان -رَحِمَه الله- لا يلبس البشت إلا نادرًا، ربما كان في يوم العيد في خطبة العيد، أو في خطب الجمعة والأصل أنه لا يلبس البشت، ويلبس من الملابس الملابس

المتواضعة، مع أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد وسَّع عليه، لكن كان يلبس ما لا يجعل الفقير يتلهف على لبسه، وما لا يستصغره معه الغني، فكان بنعمة ربه يتحدث، وعن الفقراء لا يترفع، وكان -رَحِمَه الله- متواضعًا في مأكله، وملبسه، ومركبه ومشربه.

كان الطالب، وهذا أنا رأيته في مكتبه في كلية الشريعة ربما يأتي له بكوب من القهوة مما نسميه إحنا أبو مئة فلس، فلا يرد، ويأخذ هذا الكوب من القهوة، لكن يقول: أهم شيء بدون سكر؟ يقولون: نعم، فيشرب. هذا من التواضع، بينما رأينا بعض الناس لو قدمت له هذه القهوة استصغرك، قال: أنا أشرب القهوة الفلانية وأنت تجيب لي هذا!

كان متواضعًا في مأكله. أذكر أني مرةً ضيفته في بيتي ولم أذبح ذبيحة. وهذا من قصوري، فقلت له: يا شيخ، سامحنا، وكان معنا أذكر أبو عبد الله التجار من أمريكا، ومعه بعض الإخوة من الأمريكيين في الفحاحيل، فقال الشيخ: هذا من ألذ الأكل، وصار يتشكر كأني ذبحت له جملًا.

وهكذا أذكر مرةً في المدينة، أنه جاءنا الشيخ في المدينة فضيفته وضيفت معه بعض المشايخ من ضمنهم الشيخ صالح السحيمي، الشيخ علي ناصر الفقيهي، والشيخ حسين آل الشيخ في بيتي، كان أخونا الشيخ خالد القحطاني موجود، وكانت الضيافة عبارة عن طبخ من البيت، وإذا بالشيخ يشكر الأهل، ويشكر الطبخ، وكأننا ذبحنا له إبلًا وبقرًا وغنمًا. وهذا كله يدل على تواضعه.

أذكر مرة أني ذهبت لآخذه إلى مكان كان هناك درس، وكانت عندي سيارة قديمة، فقلت له: يا شيخ، سامحني هذه السيارة ما تليق في مقامك. قال: أيش تقول أنت، المهم توصلنا وبس.

وأنا أذكر أنه كان يركب كامري، وكنا نقول له: يا شيخ أنت الآن شيخ ودكتور في الجامعة تركب هذه السيارة، زملاءك يركبون سيارات فاخرة فارهة! فقال الشيخ كأنه يقول: أهم شيء إنه يوصلنا. -رَحِمَه الله تَعَالَى-.

أيضًا كان -رَحِمَه الله تَعَالَى- متواضعًا في العلم في الرتب العلمية، وكان لا يحب المسارعة، زملاؤه وبعض من دخل معه في الكلية بل وبعض من كان في طبقة تلامذته كتبوا البحوث، ووصلوا إلى الأستاذية، والشيخ شيخ، بقي في المشيخة لم يرتق في هذه المراقي العلمية حتى كان الشيخ أبو عبد الله وليد العلي -رَحِمَه الله رحمةً واسعة- كان يحث الشيخ على كتابة بعض البحوث حتى حصَّل له الدرجات العلمية، ووصل إلى الأستاذية -رحمهم الله رحمةً واسعة-.

وكان عظيم التواضع في المناصب الدنيوية، فما كان ينظر إلى منصبٍ دنيويٍّ قط، ولو شاء، ولو أراد لوصل إلى المناصب العلية، لكنه -رَحِمَه الله- كان في قلبه الغنى التام عن المناصب الدنيوية. همه وغمه نشر التوحيد والسنة النبوية.

نكتفي بهذا القدر مما يتعلق بأخلاق الشيخ، ونكمل إن شاء الله -عَزَّ وَجَل- أخلاق الشيخ في المحاضرة القادمة.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يلحقه بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وبالصحابة الكرام الذين كان يحبهم ويجلهم، وأن يلحقه بالصالحين في منازل الفردوس الأعلى، وأن يثبتنا على التوحيد والسنة حتى نلقاهم على ذلك.

وَصَلِّ اللَّهمَّ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين، وَالْحَمْد لله رَب العَالَمِين.

المجلس الثالث

الحمد لله رب العالمين، أحمده سبحانه ولي الصالحين المتقين، وأشهد أن لا إله إلا إله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد...

فهذا هو اللقاء الثالث من اللقاءات ضمن سلسلة حديثنا عن شيخنا ووالدنا أبي محمد الشيخ فلاح بن إسماعيل بن مندكار -رَحِمَه الله تَعَالَى-، وأسكنه دار الأبرار.

في هذا اللقاء نتحدث عن بقية أخلاق شيخنا -رَحِمَه الله تَعَالَى- كما عرفته ولمسته.

وأنبه في بداية هذا اللقاء أني إن شاء الله -عَزَّ وَجَل- أبتعد كل البعد عما يكون فيه غلوٌّ، وما أقوله إنما هو بعض ما أعرفه من صفات شيخنا -رَحِمَه الله تَعَالَى-، وهو في الواقع دون ما كان عليه -رَحِمَه الله وأسكنه الفردوس الأعلى-.

أتحدث في هذا اللقاء أولًا عن خلقٍ من أخلاق شيخنا -رَحِمَه الله تَعَالَى-، وهو كرمه -رَحِمَه الله تَعَالَى.

وهذه الصفة اكتسبها الشيخ -رَحِمَه الله تَعَالَى- من شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز -رَحِمَه الله تَعَالَى-، وقليلًا ما رأيت من المشايخ من يكونون على صفة الكرم، لا سيما الكرم الذي نتحدث عنه، الكرم بالعلم، والكرم بالوقت، والكرم بالمال. هذه الصفات الثلاث مجتمعة لعلها أن تندر أن تكون موجودةً في شخصٍ واحد، لكني لمست عن قرب كرم شيخنا -رَحِمَه الله وأسكنه الفردوس- في هذه الأمور الثلاثة مجتمعة، فكان -رَحِمَه الله- كريمًا بعلمه يبذله للقاصي والداني، والصغير والكبير، والعامي والمتعلم، يبذله لكل

من يريده، بل ويبادر بنشره إلى من يظن ويلتمس فيه الخير، مع كونه -رَحِمَه الله تَعَالَى- كان آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر وفق الشروط والضوابط.

فكان -رَحِمَه الله- كريمًا بعلمه، فكان يكتب ويؤلف ويعلق على الكتب والمحاضرات والدروس، وكان من كرمه بعلمه أنه يجلس للطلاب والطالبات المختصين، ويجلس معهم الساعات في مكتبه في الجامعة، وكذلك في بيته لمن يأتيه من الطلاب والطالبات.

وأذكر أيام طلبنا للعلم في بداية رجوع شيخنا -رَحِمَه الله- لم يكن عنده مانعٌ أن نجلس عنده في ديوان والده -رَحِمَه الله- في الفحاحيل إلى الساعة الحادية عشر، بل وربما أحيانًا نجلس إلى الساعة الواحدة، وحدثني الشيخ مرارًا وتكرارًا أنه جاء فلان وجلس معه إلى الفجر يتذاكرون العلم ويتدارسونه، فكان -رَحِمَه الله- كريمًا بعلمه، وكان كريمًا في وقته -رَحِمَه الله تَعَالَى-، فكان يبذل وقته لكل أحد، وهذا يتجلى أنه كان ربما يأتيه الإنسان ويجلس معه الساعة والساعتين ولا يمل الشيخ من جلوسه حتى يمل هو.

وكان الشيخ -رَحِمَه الله- إنما يستغل جلوسه مع الناس إما بالحديث، وإما بالذكر، مع ماله من المهابة والبسمة -رَحِمَه الله تَعَالَى-، وقد كان في آخر سنين حياته -رَحِمَه الله- يكاد كل يوم يجلس بين المغرب والعشاء في ديوانه في بيته، ولم يكن يتخلف عن هذا الجلوس سواءً كان قبل حادثة كورونا، أو بعد انتهاء الحظر إلا لعارضٍ من زيارة مريضٍ، أو صلة رحمٍ، أو اجتماعٍ مع المشايخ، أو حضور درسٍ ونحو ذلك.

وربما يتصل به بعض طلبة العلم كما علمت ذلك منه -رَحِمَه الله- ويجلس معهم لكي يهيئ خطط بحوثهم وأبحاثهم العلمية سواءً في الماجستير أو في الدكتوراه.

أما كرمه بماله -رَحِمَه الله تَعَالَى- فهذا حدث ولا حرج، ومن ذلك أني وقفت بنفسي على حادثةٍ كان في مكة جاء إليه رجل، وهذا بعدما قسَّم الشيخ كل ما كان عنده من الأموال التي خصها للحج، وكان من ضمنها الصدقات التي كان يوزعها على بعض زملائه، وبعض إخوانه المحتاجين ممن يعرفهم أو يتصلون به، أو يصلون إليه، جاءه رجل فأراد أن يدفع إليه شيئًا، وكان الشيخ قد أنهى كل ما عنده، فقال لي شخصيًّا: اذهب وابحث عن أبي إسماعيل، وانظر في مكتبه قل له: الشيخ يريد كذا مبلغ من المال، فذهبت ولم أجد أبا إسماعيل، لكن بعد ذلك علمت أن الشيخ دبر مبلغًا وأعطاه للرجل. كان عظيم الكرم بماله، ولا أدل على ذلك أنه -رَحِمَه الله- كان يأتيه الناس ويجلسون إليه بين المغرب والعشاء، وربما يجلس بعض الثقلاء في نظرنا وربما كانوا ظرفاء في نظر الشيخ -رَحِمَه الله- لكرمه فكان يعشيهم ولا يتركهم يذهبون حتى يطعمهم مما يطعم -رَحِمَه الله رحمةً واسعة-.

وأما إطعامه العظيم لضيوفه ولشيوخه ولإخوانه ولأصحابه فهذا أمرٌ مشاهد، فما أن يأتي شيخٌ من المشايخ سواءٌ ممن كانوا من طبقة شيوخه أو من طبقة أقرانه، أو ممن دونه إلا ويبادر الشيخ باستضافتهم، فكم ضيَّف من هؤلاء في بيته، مع أنهم كانوا يعتذرون لأن المشايخ الفضلاء كانوا يظنون أن هذا فيه ثقل على الشيخ، وكان الشيخ -رَحِمَه الله- يرى ذلك كرمًا وجودًا وسخاءً.

وهنا أذكر مسألة عظيمة يعرفها من يعرف الشيخ كان الشيخ -رَحِمَه الله- لا يبالي بالدنيا، ومن الدلالة على ذلك أذكر حادثتين:

الأولى وقعت معي، والثانية حدثني بها الشيخ نفسه.

➢ كنت معه في زيارةٍ إلى المدينة، ولأول مرة أزور المدينة مع شيخنا أبي محمد -رَحِمَه الله تَعَالَى-، وإن لم تخونني الذاكرة فكان هذا في عام ١٤١٣ أو ١٤ من الهجرة، أول زيارة لي مع الشيخ إلى المدينة، وكنت قليل الزيارة للمدينة وما كنت أحتاج إلى شيء من استخدام الآلات، تعرفون أن الذي يذهب يسكن في الفندق ويخرج ولا ينتبه لهذه الأمور، فأنا ذهبت إلى هناك مع شيخنا، وكان شيخنا بيته الذي كان فيه لا زال مؤجرًا، فدخلنا إلى بيته فقال الشيخ لي: ضع الهاتف في الكهرباء حتى يعمل ونتصل على المشايخ، وأنا ما انتبهت أن هناك الكهرباء ينقسم إلى قسمين (١١٠/ و٢٢٠) والهواتف من المفروض أنها توضع في الـ١١٠ فولت، فوضعت هذا في ال٢٢٠فولت تقريبًا فحصل شورت وحصل الكهرباء وتلف الهاتف، فكان أحد الإخوة معي ولا أذكر اسمه قصدًا فقال: ايش سويت؟ خربت الهاتف. فقال لي الشيخ -رَحِمَه الله- لما رأى خجلي ووجلي، قال -رَحِمَه الله-: لا عليك كله هاتف وسنغيره إن شاء الله.

➢ **الموقف الثاني**: أن أحد الناس ممن كان يتزلف إلى الشيخ ويتقرب أخذ من الشيخ مبلغًا من المال بالآلاف، ثم بعد ذلك لم يوقف له على أثر وخرج وهرب، فالشيخ ذكر لي هذا من باب الحذر، وما رأيته يتأسف، ونحن إذا ضاع منا المئة دينار نتأسف عليه، أحيانًا بعض الناس يتأسف على المئة دينار مئة يوم، وأما على الألف دينار فعمره، وبعض الناس إذا ضاع منه عشرة آلاف ربما خرجت نفسه.

من صفات شيخنا -رَحِمَه الله- شجاعته العظيمة: فكان -رَحِمَه الله- مقدامًا لا يخاف في الله لومة لائم، والأحوال عنده سيان سواءٌ كان عند الفقراء، أو كان عند الأغنياء، سواءٌ كان عند الرعية أو كان عند الأمراء، وهذا كنا نراه على شيخنا، فإنه -رَحِمَه الله- كانت

أحواله لا تتغير بتغير الحاضرين أو بتغير الأزمنة والأمكنة، وهذا دليلٌ على شجاعته -رَحِمَه الله-.

وله مواقف متعددة دالة على شجاعته، من ذلك:

- صدعه بالحق في بعض المسائل مع أنه علم أنه قد لا يجد ناصرًا ولا معينًا.

- من ذلك تحذيره من التحزبات والأحزاب مع كون عامة الناس مبتلين بهذه الأحزاب وبهذه التحزبات، فضلًا عن الخاصة، فكان -رَحِمَه الله- عظيم الشجاعة.

- ومن شجاعته -رَحِمَه الله- مع حبه العظيمة لمشايخه إلا أنه -رَحِمَه الله- كان لا يقلدهم ولا يسير خلفهم سير المقلد، وإنما يسير سير المتَّبِع، ولا يبالي بهم.

- ومن شجاعته -رَحِمَه الله تَعَالَى- وهذا عشته معه أنه في أحد السنوات وهو كان يشتكي من آلامٍ في مفصل قدمه ونصحه الطبيب ألا يذهب إلى الحج وهذا قبل أن يعمل العملية، ومع ذلك أصر الشيخ إلى الذهاب إلى الحج، والأعجب من هذا أنه أصر على الذهاب إلى الجمرات وكان رمي الجمرات كان من أصعب الأمور وأزحمها، فأصر الشيخ على الذهاب، فرأينا لزامًا على أنفسنا أن نذهب معه أنا ومعي بعض الإخوة وطلاب العلم، فلما ذهبنا إلى هناك وإذا جاءت الموجة والشيخ -رَحِمَه الله- واقف صامد يذكر الله ولا يهاب، فمسكته من أحد جانبه، وأحد الإخوة من جانبه الآخر حتى خرجنا من الزحام ونحن قد تغيرت ملامحنا وألواننا وهو على ما كان، أي نعم بدا عليه آثار التعب، لكن من شجاعته -رَحِمَه الله- أنه كان على حاله الأول.

من صفات شيخنا -رَحِمَه الله- طيبته وسعة صدره وسماحته:

أما طيبته فإنه -رَحِمَه الله- كان من أطيب الناس نفسًا، وكان من أوسع الناس صدرًا في نظرنا حيث عاشرناه، وكان -رَحِمَه الله- من طيبته أننا كنا نظن أن لو جاء ثلاثة من

طلابه وأخبروه بشيء أنه سيصدقهم؛ لأنه كان عظيم العشرة، وكان طيب القلب لينه هَيِّنَه، واسع الصدر، لا يضيق أفقه، فكان يتحمل من الناس الأمور الكثيرة المتعددة، وكان عظيم السماح من حيث سماحته في نفسه، فليس أي شيءٍ يكدره، ولا أي شيءٍ يزعجه، ولا أي شيءٍ يغضبه، وإنما يغضبه ما يخالف أمر ربه، أو سنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-

.

ومن معاشرتنا لشيخنا أنَّا عرفنا إذا أردنا أن يسامحنا فنأتي بسيرة الصحابة فينسى عتبه علينا من حبه للصحابة -رضوان الله عليهم-، وعرفنا من معاشرتنا لشيخنا سعة صدره، فكان -رَحِمَه الله- إذا كان متعبًا وجئنا بما يتعلق بمسائل العقيدة، وما يتعلق بمسائل الصحابة نجده ينشط نشاطًا عظيمًا لا نظير له.

وكان يذكر لنا مثلًا لأحد مشايخه أنه كان مريضًا في الحج فسئل عن مسألة عقديةٍ متعلقة بغلاة المتصوفة، فقام الشيخ واقفًا وهو متعب ونسي نفسه فصار يتحدث كأنه معافًى على التمام.

ومن سماحته وعفوه وصفحه أن بعض الناس تكلم في عرضه، ثم جاء إلى شيخنا وقبَّل رأسه، فقال له بعض الإخوة وأنا حاضر: والله يا شيخ، لو كنت مكانك لدفعته بعصاتي هذه التي هي معك، ولما تركته يقبل رأسي، كيف تركته يقبل رأسك وهو الذي تولى كبر هذه المسألة؟! فقال الشيخ -رَحِمَه الله-: ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ وهذا دليلٌ على عظيم سعة الصدر، دليلٌ على التعامل مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

من صفات شيخنا -رَحِمَه الله- رقته ورأفته:

كان رقيق القلب، حاضر الدمعة، ربما يأتيه السائل فيتحدث عن عقوق ابنه فيبكي الشيخ، ربما يأتيه السائل ويتحدث عن بعض الأمور التي تقع من قطيعة الأرحام وإذا

بدموع الشيخ تنزل، وكان -رَحِمَه الله- يتعجب ممن يقطع -رَحِمَه الله-، حتى إنه حصل بينه وبين بعض أقاربه شيء فكان يتعجب كيف أن فلان لا يريد أن يسلم عليه، وكان الشيخ هو المبادر للسلام حتى أذهب الله تلك الفجوة.

ومن رقته وحضور دمعته أنه كان إذا ذُكِر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لا يمسك نفسه، ولا يقبض دمعه، وهكذا إذا ذُكِر الحديث عن حب الله -عَزَّ وَجَل-، وهكذا إذا ذُكِر الحديث عن الجنة والنار، وهكذا إذا ذُكِر الحديث عن الصحابة، أو ذُكِر الحديث عن محنة الإمام المبجل أبي عبد الله أحمد بن حنبل، حتى أني كنت أقرأ عليه فيما يتعلق بمحنة القول بخلق القرآن محنة المعتزلة، فأوقفنا الشيخ قرابة خمس دقائق وهو لا يستطيع أن يكمل.

أيضًا من صفات شيخنا -رَحِمَه الله- صبره سواءٌ ما يتعلق بصبره على تعلم العلم:

فكان عظيم الصبر، والعجب أنه كان يردد لنا كثيرًا قول الإمام أحمد: (مع المحبرة إلى المقبرة) فكان إذا حضر بعض شيوخه بل وبعض أقرانه كان يحضر درسه ويجلس في مجلس العلم كالمتعلم بين يديه.

ورأيته مرةً جالسًا في مجلس شيخنا وزميله الشيخ علي التويجري -حفظه الله-، فقال له الشيخ علي: يا شيخ، أنت تحضر الدرس؟ قال: نعم أستفيد. يتعجب الشيخ علي من حضوره، ولكن كان عظيم الصبر يحب أن يجلس ويطلب العلم في كل أوقاته وساعاته.

كذلك صبره كان عجيبًا على المحن والبلايا:

وامتُحِنَ الشيخ -رَحِمَه الله- امتحاناتٍ عدة، وسأذكر هذه الامتحانات والابتلاءات فيما يتعلق بشبهاتٍ والرد عليها حول سيرة شيخنا -رَحِمَه الله رحمةً واسعة-.

وكان -رَحِمَه الله- عظيم الصبر على المرض، لما أصيب بآلام المفاصل في مفصل قدمه، وآلامٍ في الركبة مع كون الآلام كانت شديدة مع هذا كله أصر على الذهاب إلى الحج، مع أن الأطباء وإخوانه ونحن أبناؤه وزملاؤه نصحوه بأن يجلس ويستريح، فأصر على الذهاب إلى الحج وهو لم ينقه بعد من آثار العملية، وكان يقول: ما فائدة هذه الكراسي المتحركة إن لم تكن لأمثالي؟ وذهب إلى الحج، وفي أثناء الحج وقد كنت معه وكان معه بعض الزملاء وطلاب العلم الآخرين ربما كان يصاب قدمه بشيء ويتألم، لكن ما كان يصده هذا عن منسكٍ من المناسك -رَحِمَه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته-.

وإن شاء الله -عَزَّ وَجَل- في المحاضرة القادمة سأتحدث عن عقيدة شيخنا، ومنهج شيخنا ووالدنا -رَحِمَه الله رحمةً واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى-.

وَصَلِّ اللَّهمَّ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين، وَالْحَمْد لله رَب العَالَمِين.

المجلس الرابع

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد...

فهذا هو اللقاء الرابع من اللقاءات في الحديث عن حياة شيخنا أبي محمد فلاح بن إسماعيل بن مندكار -رَحِمَه الله تَعَالَى وجعل مثواه الجنة دار الأبرار-.

في هذا اللقاء نتحدث عن منهج وعقيدة شيخنا -رَحِمَه الله تَعَالَى-، أن والدنا أبا محمد كان على منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة، والمنهج والمعتقد هما بمعنًى واحد لكن بينهما عمومٌ وخصوص:

فإن المنهج: قد يطلق على مسائل الاعتقاد، ولكنه مخصوصٌ بكيفية الاعتقاد؛ بمعنى الطريق الذي نسلكه في اعتقادنا؛ بمعنى كيفية تطبيق مسائل الاعتقاد.

وأما العقيدة أو الاعتقاد: فهي المسائل العلمية والعملية في عقيدة أهل السنة والجماعة.

كان شيخنا -رَحِمَه الله- على منهج أهل السنة والجماعة وعلى عقيدتهم قلبًا وقالبًا -رَحِمَه الله-، وهذا الذي تعلمناه منه مدة جلوسنا بين يديه، وتعلمنا منه -رَحِمَه الله تَعَالَى.

❋ **من ذلك:**

➢ **أولًا: ما يتعلق بالمنهج**: الاستدلال بالكتاب والسنة والإجماع، فكان شيخنا -رَحِمَه الله- من أعظم الناس تعليمًا لنا في ألا نقول قولًا لا سيما في مسائل الاعتقاد، وألا نعتقد اعتقادًا ولا نعمل عملًا إلا وعليه أثارةٌ من علم آيةٌ ناطقة، أو حديثٌ صحيحٌ، أو إجماعٌ.

وهذه المسألة كان شيخنا -رَحِمَه الله- كثيرًا ما يؤكد عليها؛ فلا يذكر مسألةً من مسائل الاعتقاد إلا ويذكر دليله من الكتاب والسنة، ويذكر الإجماعات أيضًا، علاوةً على ذلك كان -رَحِمَه الله- مع ذكره للأدلة يورد أدلة أو شبهات الشبه التي يستدل بها أهل البدع وكان -رَحِمَه الله تعالى- يرد هذه الأدلة بما أتاه الله -عَزَّ وَجَل- من العلم من أقوال سلفنا الصالح -رَحِمَهم الله تَعَالَى-.

➢ **ثانيًا:** كان -رَحِمَه الله- عظيم العناية بمسألة الاستدلالات العقلية؛ فكان -رَحِمَه الله- يعلم الصغار والكبار بمنع الاستدلال العقلي في مسائل الغيب، وذلك لأنه -رَحِمَه الله- كان يقرر ما قرره علماء الاعتقاد بأن العقل لا مدخل له في الغيبيات، إنما الغيبيات بابه السمعُ، وهذا من حيث التفصيل لا من حيث الجملة؛ لأنه من حيث الجملة يمكن بعض الأمور والمسائل الاعتقادية الاستدلال بها على العقل موافقًا للنقل، كما كان -رَحِمَه الله- يقرر ذلك كثيرًا.

فكان -رَحِمَه الله- يمنع الاستدلالات العقلية في المسائل العقدية، ويجعل العقل تابعًا للنقل، وكان -رَحِمَه الله- كثير العناية بهذا الباب في التفريق بين استخدام العقل، أو تعطيل العقل، أو تقديم العقل، فكان يقول: **الناس ثلاثة أقسام:**

- منهم من قدم عقله على النص، فصار حاكمًا على الكتاب والسنة بعقله القاصر. ويضرب بهؤلاء مثلًا المعتزلة، ونحوهم.

- ومنهم من عطل العقل تعطيلًا كليًّا حتى جعله يقول: العقل تحت النعال، ولا معنى للعقل. وهؤلاء لا يفهمون من النصوص ما ينبغي فهمه؛ لأنهم يزعمون أن الفهم موكولٌ بإمام الزمان، أو بشيخ الطريقة، أو بصاحب المقامات. وكانوا يضربون مثالًا على ذلك ببعض الباطنية، وبعض غلاة المتصوفة.

وكان يقول ويقرر ما قرره شيخ الإسلام في كتابه العظيم [درء تعارض العقل والنقل]: من أن العقل لا يخالف النقل؛ لأن الذي أنزل النقل هو الله -عَزَّ وَجَل-، والذي خلق الله العقل هو الله -عَزَّ وَجَل-، فلا يمكن أن يتعارضا، لكن إن وُجِد التعارض فإنما هو في أذهان الناس، في عقول الناس وليس في الواقع أي تعارضٍ بين الكتاب والسنة من جهة، وبين الكتاب والسنة والعقل من جهةٍ أخرى.

➢ **والأمر الثالث**: أن شيخنا -رَحِمَه الله- كان يقرر منع القياس في مسائل الاعتقاد، سواءً كان القياس تمثيليًّا أو كان القياس كليًّا، وفهمنا هذه المسألة منه -رَحِمَه الله-، وكان يقرر منع القياس بقوله -جَلَّ وعلا-: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤].

وكان -رَحِمَهُ الله- يقرر ما قرره أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ الله- من أن القياس الذي إن أردنا أن نستخدمه في هذا الباب في باب الإلهيات فإنما هو قياس الأولى، لا قياس التمثيل الذي يقتضي تسوية الخالق مع الخلق في جزئية، أو تسوية المخلوق مع الخالق في جزئية، ولا القياس الكلي الذي يدخل فيه الخالق مع المخلوق في كليةٍ سالبةٍ أو موجبة أو العكس.

أما القياس الأولي فإنه لا يقتضي تمثيلًا ولا كليةً.

وإنما صورة هذا القياس أن يقال مثلًا: هل العقلاء من المخلوقين يفعلون فعلًا بلا حكمة؟

فالجواب عند العقلاء كلهم: أنه لا يتصور أن عاقلًا يفعل فعلًا بلا حكمة، فإذا كان العقلاء الفضلاء العظماء من البشر لا يريدون أن يفعلوا فعلًا خلاف الحكمة فالله -عَزَّ وَجَل- العظيم أولى أنه لا يفعل فعلًا إلا لحكمة، قد نعلم هذه الحكمة، وقد لا نعلمها.

هذا قياس الأولى، وقياس الأولى مذكورٌ في كتاب الله -عَزَّ وَجَل- في ثلاثة مواضع بل وأكثر.

وحتى لا نطيل نذكر هذه المواضع الثلاث وهي للبيب إشارةٌ، وللمبتدئ غنيةٌ.

❍ **الدليل الأول على جواز قياس الأولى**: قوله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧] ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ سواء قلنا: إن المقصود بالمثل هنا الوصف الأعلى، أو قلنا: أن المثل هنا المقصود به القياس وله القياس الأولى، وكلا التفسيرين صحيحان، فيجوز أن نقول: أن المثل المقصود به في الآية هو الوصف، ويجوز أن نقول: أن المثل المقصود به في الآية هو القياس.

❍ وقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل:٦٠] وهذه فيها فائدةٌ زائدةٌ عن تلك ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل:٦٠] أفاد الحصر، فليس لأحدٍ غير الله المثل الأعلى؛ لأنه ما من أحدٍ إلا ويشترك مع غيره في شيء، فلا يكون له مثلٌ عليا، أو مثلٌ أعلى، أما الله -جل في علاه- فلا يشترك مع المخلوقين في شيء، ولا يشترك مخلوقٌ معه في شيءٍ من حقوقه، وفي شيءٍ من صفاته، وفي شيءٍ من ذاته؛ فلذلك كان له المثل الأعلى.

❍ **والدليل الثالث**: قوله -جَلَّ وعلا-: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[الروم:٢٨] فهذا المثل الذي ضربه الله لبيان قباحة اعتقاد المشركين فيه دليلٌ على قياس الأولى؛ أي أنتم أيها المشركون الذين تجعلون مع الله شركاء لا ترضون أن يكون عبيدكم وإماؤكم شركاء معكم في أموالكم، وفي أراضيكم، وفي دياركم، وفي أنعامكم، وفيما تملكون، فكيف تجعلون لله العبيد والإماء شركاء مع الله؟! فإذا أنتم كنتم

تتنزهون عن هذا الوصف لأنه نقصٌ، فالله –جل في علاه– أولى أن ينزه عن هذا الوصف؛ لأنه سبحانه العزيز القدوس، الحميد المجيد، الصمد السيد، الأحد الواحد.

وكان شيخنا –رَحِمَه الله– يخالف الظاهرية في هذه المسألة فيجوِّز قياس التمثيل، وقياس الشمول في مسائل الفقه؛ لأن مسائل الفقه مبناها إما على قياس التمثيل، وإما على قياس التشبيه.

فمثلًا: كل مسكرٌ خمرٌ، وكل خمرٍ حرام. فهذه الكلية في التمثيل كلية صحيحة، قياسٌ صحيح، إذن كل مسكرٍ خمر، والخمر حرام، إذن كل خمرٍ حرام.

وكذلك قياس التمثيل يجوز العمل به إذا توفرت شروطه وانتفت موانعه.

كذلك كان شيخنا –رَحِمَه الله– عظيم العناية بما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتبع التابعين، فكان كثيرًا ما يحب الاستدلال بكتب من سلف من أهل العلم سواءٌ منهم الذين ألفوا من المتقدمين كالإمام أحمد –رَحِمَه الله تَعَالَى–، فكان شيخنا –رَحِمَه الله– كثير العناية بكتب السلف؛ ولذلك يسر الله –عَزَّ وَجَل– أن درسنا عليه كتاب [الشريعة] للإمام أبي الحسين الآجري –رَحِمَه الله تَعَالَى–، ودرسنا عليه كتاب إمام الأئمة الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة –رَحِمَه الله–، كتاب [السنة] للإمام البربهاري، وهكذا الكتب السلفية القديمة، وكان كثير العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وكتب أئمة الدعوة على رأسهم الإمام محمد بن عبد الوهاب –رَحِمَه الله تَعَالَى–.

وكان من منهج شيخنا –رَحِمَه الله–: الحث على الاتباع، والحذر من الابتداع في كل قولٍ، وفي كل فعلٍ، وفي كل اعتقادٍ، فكان –رَحِمَه الله– لا يفرق في نهيه عن البدع بين بدعةٍ اعتقادية، وبين بدعةٍ عملية، وبين بدعةٍ قولية، فكان –رَحِمَه الله– يحذر منها كلها.

وأذكر مرةً أن بعض المفتونين بالغرب صار يحتفل بعيد الميلاد، فجاء إلى الشيخ وقال له: أنا أحتفل بعيد ميلادي ما أريد فيه تقليد اليهود والنصارى. فقال له الشيخ: طيب، لماذا تحتفل إذن إذا كنت تريد اتباع المسلمين المسلمين ما احتفلوا بميلادهم، لماذا تحتفل أنت. قال: أمر دنيوي يا شيخ، قال: أمر دنيوي، لكنه صار فيه مضاهاة لعيدي المسلمين عيد الأضحى والفطر. بعض الناس يتساهل، لكن شيخنا -رَحِمَه الله- كان يحذر من البدع صغيرها وكبيرها.

أذكر مرةً كنت جالسًا قريبًا منه بعد صلاة المغرب، وقبل أن يبدأ الدرس، فجاءه شخص وقال: يا شيخ، إني أجلس على هيئةٍ معينةٍ بعد الأذكار بعد الانتهاء من الصلاة، وهذه الهيئة المعينة أجد فيها خشوعًا وخضوعًا ولذةً في ذكري، لكن قد تتعبني هذه الجلسة، فهل أستمر على هذه الجلسة أو أجلس كيفما أرتاح ولو لم أجد لذةً أو إحساسًا بالأذكار؟ فقال له الشيخ: إياك أن تجلس على هيئةٍ ترى نفسك فيها متلذذًا، ولم يثبت ذلك عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-. فقال له السائل: إذن كيف نجلس؟ قال: اجلس كيف ما يتيسر لك؛ لأنه لم يثبت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بعد الصلاة جلسة معينة، إلا ما جاء في صلاة الفجر وفي صلاة المغرب أنه كان لا يتغير عن جلسته حتى يقول: «**لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَه لَا شَرِيك له، لَه الملك، وَلَهُ الْحَمْد وَهُوَ عَلَى كُل شَيءٍ قَدِير**» عشر مرات. مع أن هذا الحديث ضعفه بعض أهل العلم، وحسنه آخرون.

الشاهد من الكلام: أن شيخنا -رَحِمَه الله- كان عظيم الحث على الاتباع والحذر من الابتداع.

أيضًا من منهجه -رَحِمَه الله-: وهذا والله تعلمناه منه كان عظيم الثناء على علماء أهل السنة، وكان -رَحِمَه الله- محذرًا من علماء أهل البدعة، فكان إذا ذكر بعض علماء أهل

السنة يبكي لموتهم، أو لفراقهم، أو لحسن مقالهم. وهذا من حسن تعهد شيخنا أولًا، وحبه لعلماء أهل السنة.

أذكر مرة قال له أحد الناس: يا شيخ، أنت تقول: إمام الأئمة، من هو إمام الأئمة هذا الذي أنت تدرسنا كتابه؟ قال: ما تعرف إمام الأئمة؟! ما تعرف إمام الأئمة؟! هذا مؤلف كتاب التوحيد. وما تعرف ليش سموه إمام الأئمة؟ قال السائل: ما أعرف، قال: لأن جُل تلاميذه كانوا من بعده أئمة، فسموه بإمام الأئمة، الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وكان قرينًا للإمام مسلم، وتتلمذ على الإمام مسلم أيضًا.

من منهج شيخنا أيضًا: وهذه مسألة ربما نبهت عليها، ولكن أؤكد عليها مرةً أخرى: أنه يسير على طريقة أهل السنة والجماعة في مسائل التبديع والتفسيق، وفي مسائل التكفير، وهو التفرقة بين الحكم العام والمطلق، وبين الحكم الخاص والمعين، فهو -رَحِمَه الله- يقول كما جاءت النصوص: بأن من فعل كذا فهو فاسق، ومن فعل كذا فهو مبتدع، ومن فعل كذا فهو كافر. هذا من حيث العموم والإطلاق.

أما من حيث التطبيق، أو التخصيص، أو التعيين يعني بمعنى فلانٌ من الناس عمل الفسق هل يحكم عليه بأنه فاسق؟ فلانٌ من الناس وقع في البدعة هل يحكم عليه بأنه مبتدع؟ فلانٌ من الناس وقع في الكفر هل يحكم عليه بعينه أنه كافر؟ فكان شيخنا -رَحِمَه الله- منهجه منهج أهل السنة والجماعة تأصيلًا وتطبيقًا.

تأصيلًا: كان يفرق بين العموم والإطلاق، وبين التعيين والخصوص.

تطبيقًا: كان -رَحِمَه الله- يؤكد علينا مرارًا وتكرارًا: أن من اشتهر عنه الفسق، ولم يظهر منه الصلاح أنه يحكم عليه بما اشتهر منه؛ لأنه اشتهر عنه هذا الفسق، ولم يتبين لنا رجوعه، فنحكم عليه بما اشتهر منه، وأما من لم يشتهر منه الفسق ووقع منه شيءٌ من الفسق، فإنه لا

يجوز أن نقول: فلانٌ فاسقٌ مباشرةً لعل له عذرًا، لعله مريض، لعله وقع منه خطأً كما هو معروف من عادة أهل السنة والجماعة في الحكم على المعين في انتفاء الموانع، ووجود الشروط.

وكان يذكر لنا مثلًا على هذا بحديث: "«لَعَن الله شَارِب الْخَمْر» **فلما جيء برجلٍ قد شرب الخمر مرارًا وتكرارًا لعنه بعض الصحابة، فغضب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وقال:** «مَهْ، فَلَا تَلْعَنه، فَإِنَّه رَجُلٌ يُحِب الله وَرَسُوله»". فكان يقول: انظروا، لعن من حيث العموم، ومنع من لعنه من حيث الخصوص، **لماذا؟**

لأن العموم لا يحتاج فيه الإنسان إلا إلى شيء واحد وهو ثبوت النص في التفسيق، أو في التبديع، أو في التكفير، أما من حيث التعيين فيحتاج الإنسان فيه إلى وجود الشروط والموانع والحكم، فالحكم لا يتم إلا ممن له الحكم من القضاة والمفتين والحكام.

كذلك كان شيخنا -رَحِمَه الله- يؤصل هذه المسألة يقول مثلًا: إن فلان من الناس في أقواله البدعة، وقال البدعة، وفلان فعل البدعة، ثم ينظر إلى حاله فإن كان الرجل يفتخر وينتسب إلى تلكم البدعة، فيقول مثلًا: أنا ليبرالي، أو يقول مثلًا: علماني، أو يقول مثلًا: أنا معتزلي، أو يقول مثلًا: أنا خارجي، أنا تكفيري، أنا من الحزب الفلاني مثلًا، فحينئذٍ لا يقع التردد في أنه كذلك؛ لأنه هو الذي افتخر بهذا الشيء، وانتسب إلى هذا الشيء، فلا تستطيع أنت أن تمنعه وتقول له: اصبر حتى أوجد لك الشروط وأنفي لك الموانع. لأنه لا داعي لهذه السفسطة لأن الرجل يفتخر بهذا الشيء. ومثل هذا لما يقول الإنسان: أنا يهودي، أنا نصراني. فأنت ما يصير تقول له: اصبر، أنت لست كافر حتى أنظر في وجود الشروط وانتفاء الموانع؛ لأن وجود الشروط وانتفاء الموانع في الحكم على المعين بالكفر إنما يكون في حق من أصله الإسلام، ومن هو مسلم ويفتخر بالإسلام لا في حق اليهودي والنصراني.

كذلك نقول: إن الرجل حينما نقول: لا يحكم عليه بعينه بأنه مبتدع. هذا الكلام فيمن أصله السنة، وفيمن ينتسب إلى السنة، ثم وقع منه الفسق، أو وقع منه البدعة، أو قال البدعة، فلا يحكم عليه بعينه بأنه مبتدع، بخلاف من ينتسب إلى البدعة أصلًا فهذا لا يمكن أن تنفي عنه ما هو ينتسب إليه. وهذه المسألة من فهمها أزالت عنه الإشكالات كلها، ومن لم يفهمها صار بين جانبي طرفي نقيض، إما يصير لا يحكم على أحدٍ بعينه بأنه كافر أو مبتدعٌ أو فاسق. وهذا رأيناه من بعض الناس، تقول: فلان يقول لك يا أخي: أنا خارجي. يقول: لا ما يصير تقول عنه أنه خارجي. هو يقول: أنا خارجي، فلان يقول: أنا معتزلي، قال: لا، ما يصير تقول عنه: أنه معتزلي. سبحان الله! يعني الإقرار من أظهر الأدلة على الإنسان؛ **ولذلك الله -جَلَّ وعلا- ماذا يفعل بالكفار يوم القيامة؟**

يقول: هذا كتابنا ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[الجاثية:٢٩] هم ما يقبلون، فلما لا يقبلون يقول الرجل: لا أقبل حتى يكون شاهدٌ على نفسي من نفسي، فحينئذٍ تشهد عليهم ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النور:٢٤] فإذا كان الرجل بلسانه يقول لك: أنا معتزلي، أنا تكفيري، أنا كذا، فأنت ما تستطيع أن تنفي عنه، لكن إذا كان الرجل ينتسب إلى السنة وقع منه بعض الأقوال التي تدل على البدعة، أو الأفعال التي تدل على البدعة، فحينئذٍ هنا لا بد في الحكم على المعين من وجود الشروط، وانتفاء الموانع.

كذلك كان شيخنا -رَحِمَه الله- عظيم التحذير مما يسميه بعض الناس بالذوق أو المنامات: وهذا منهجٌ مهم ينبغي لكل طالب علمٍ فضلًا عن العالم أن ينبه الناس على خطر هذا الأمر، وهو اتباع الأذواق، فلان يقول: والله هذا الشيء أنا أجد فيه لذة. لا لا، دين الله ليس تابعًا للذاتك، ولا لشعورك، دين الله -عَزَّ وَجَل- هو ما أنزله ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ

﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[الأعراف:٣] ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يعني محبوبات، ملذات، والنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فيما رواه البخاري قال: "«كُل أُمَّتِي يَدْخُلُون الْجَنَّة إِلَّا مِنْ أَبَى» قالوا: ومن يأبى؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّة، وَمَنْ عصَانِي فَقَدْ أَبَى»" فهنا المقصود طاعة النبي وليس لذة الولي، لذة الإنسان لا، فكان شيخنا -رَحِمَهُ الله- يحذر من هذا المسلك، وقد بذل جهدًا عظيمًا في بيان خطورة هذا المسلك في رسالته في الدكتوراه.

وكذلك كان يحذر من المنامات، وكان يقول: إن من أسباب ضلال الناس اتباعهم للمنامات كما سيأتي في اللقاء الأحد القادم لا، الذي بعده نتحدث عن الفتن التي تعرض لها الشيخ ووفاته وهو اللقاء الأخير، فسنذكر فيه كيف كان -رَحِمَهُ الله- عظيم التحذير من المنامات، وما أوقع من وقع في فتنة جهيمان إلا بالمنامات.

❑ **ننتقل إلى عقيدة شيخنا -رَحِمَهُ الله-:**

عقيدة شيخنا -رَحِمَهُ الله- ما هو مسطورٌ في كتاب الله -عَزَّ وَجَل-، وفي سنة رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ومن يقول شيئًا أكثر من هذا في حق شيخنا فهو إما مفترٍ وإما جاهل، وكان شيخنا -رَحِمَهُ الله- عظيم العناية بـ[العقيدة الطحاوية] وشرحها لابن أبي العز، وكان عظيم العناية بكتب السنة من ذلك ما ذكرت كتاب [الحموية]، كتاب [الشريعة] للآجري، كتاب [التوحيد] لإمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وغيرها من كتب السلف، وكان عظيم العناية بكتاب [التوحيد]، و[الأصول الثلاثة]، و[الأصول الستة]، و[القواعد الأربعة]، وكذلك كان شيخنا -رَحِمَهُ الله- يحثنا على ويدرس [التدمرية]؛ ولذلك عقيدة شيخنا -رَحِمَهُ الله- ولله الحمد والمنة مسطور مزبورٌ ظاهرٌ جليٌّ وذلك في عدة أمور:

➢ **الأمر الأول**: في رسالته الدكتوراه.

➢ **الأمر الثاني** في تعليقاته على الكتب السلفية في العقيدة سواءٌ التي شرحها قديمًا من عام ألف وأربعمئة واثني عشر وما بعدها، أو التي شرحها حديثًا.

➢ **ثالثًا**: وهذا أيضًا أمر مهم: ما كان قد كتبه بيده إملاءً أو بيده خطًّا لطلابه وهو يدرسهم في كلية الشريعة.

إذن كان شيخنا -رَحِمَهُ الله- على عقيدة السلف شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، وكان ينبهنا ألا نقول شيئًا في الاعتقاد إلا قال به السلف.

كذلك كان شيخنا -رَحِمَهُ الله- ممن يكثر الكلام حول بعض مسائل الاعتقاد: بسبب مجريات الأحوال، وبسبب وجود الضلالات فيها.

ومن جملة ذلك أذكر بعض المسائل؛ لأن بعض الناس ربما يقول: لماذا الشيخ أكثر الكلام حول هذه المسائل؟

فكان -رَحِمَهُ الله- كثير العناية بتأصيل مسألة العلو للعلي الأعلى -جل في علاه-، وذلك لأنه عاش ورأى بعض من يزعم الانتساب إلى السنة كالأشعرية والماتريدية وهم لا يثبتون العلو لله -عَزَّ وَجَل- على طريقة الجهمية، فكان شيخنا يدندن حول هذه المسألة، حتى أذكر أنه -رَحِمَهُ الله- لما قرأنا كتاب [التوحيد] لابن خزيمة أول مسألة مسألة العلو، فلما جاء عندها قال: إنما نبه عليها إمام الأئمة لأن من أثبت هذه المسألة حصل عنده الفارق العظيم بين الخالق والمخلوق، وعرف كيف يعتقد في الخالق -جَلَّ وَعَلَا-، وأما من لم يميز بين الخالق والمخلوق بالعلو بعلو الخالق عن مخلوقاته، فإنه لا يستطيع أن يميز بعد ذلك.

المسألة الثانية: كان شيخنا -رَحِمَهُ الله- أيضًا يدندن حول مسألة إثبات النزول للرب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كما جاء في الأحاديث وهي مسألةٌ متعلقةٌ بإثبات أفعال الرب -عَزَّ وَجَل- ، فمن أثبت العلو الذاتي لله -عَزَّ وَجَل-، ثم أثبت لله -عَزَّ وَجَل- النزول كما يليق به، فقد أثبت الوصف الأزلي العلو الذاتي، وأثبت أيضًا ما يتعلق بصفات الأفعال للرب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-. وهذا الذي يُخْرِج الإنسان من ضلالتي التعطيل، ومن ضلالة التمثيل:

- فمن قال: إن الله هو العلي الأعلى. فقد تنزه عن التعطيل وعن التمثيل.

- ومن قال: إن الله -عَزَّ وَجَل- ينزل كما شاء. فإنه نجى من التعطيل ومن التمثيل.

أيضًا مسألة ثالثة كان شيخنا -رَحِمَهُ الله- يدندن حولها كثيرًا: وهي مسألة التحذير من الغلو، وأن أكثر الناس غلوا فوقعوا في الإفراط والتفريط، وكان يضرب مثلًا بغلو الناس في الأشخاص، فالباطنية غلوا في آل البيت، حتى إن بعضهم وصل إلى مرحلة كان يشير إلى السحاب ويقول: إن عليًّا -رَضِيَ الله عَنْهُ- في السحاب، وأن صوت الرعد صوته، وأن البرق أثر سوطه. وهذا من الغلو في المخلوق.

ومن غلاة المتصوفة من جعل قبر شيخه معبدًا يزار، ويطاف، ويصلى عنده، ويذبح عنده، وينذر عنده، ونحو ذلك؛ ولذلك كان شيخنا -رَحِمَهُ الله- كثير العناية بالتحذير من الغلو سواءً في جانب الغلو في الأشخاص المتمثل في غلو الباطنية، أو في غلو المتصوفة، أو الغلو في الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

الأمر الرابع: كان شيخنا -رَحِمَهُ الله- كثيرًا ما يؤكد وينبهنا على وجه الخصوص، ومن يستمع إليه على وجه العموم يحذرهم من التحزبات ومن الأحزاب. ويبين أن التحزب من دون الناس وإنشاء الأحزاب، وتأسيس الأحزاب أن هذا مخالفٌ لشريعة العزيز الوهاب؛ لأن الله -جَلَّ وَعَلَا- قال: ﴿وَلا تَكُونُوا﴾ [الروم:٣١] الخطاب للمؤمنين ﴿وَلا تَكُونُوا﴾

[الروم:٣١] أي أنتم واو الجماعة راجعة إلى المؤمنين باتفاق المفسرين ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا(٣٢)﴾ [الروم:٣١-٣٢] يعني جماعات وأحزاب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢].

كونوا أنتم على الإسلام، كونوا أنتم على السنة، كونوا أنتم على الإسلام الحق الذي كان عليه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وأصحابه قبل وجود الإضافات، قبل وجود الزيادات. هذا هو الدين الحق.

وكان شيخنا -رَحِمَهُ الله- يحذر من تَسْيِيس الأحزاب، وتسمية حتى إن بعضهم ربما كان يسعى ويقول: إن التحزب من دين الله. ويريد أن ينشئ حزبًا سياسيًّا، أو حزبًا يصل به إلى الكراسي ويلصق ذلك بالدين، هو لو أنشأ حزبًا ولم يلصق ذلك بالدين. فهذا نقول له: إنه عاصي، لكن إذا أنشأ حزبًا وألصقه بالدين. هذا لا يقال له: عاصي، يقال له: مبتدع. فرقٌ بين الأمرين.

النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أمرنا أن نكون كما قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «الْمُسْلِم أَخ الْمُسْلِم لَا يَظْلمه، وَلَا يسْلِمُه، وَلَا يَخْذِله، وَلَا يَحْقِرَه» المؤمنون إخوة، وفي القرآن: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] فلا يجوز أن يتحزب جماعة من الناس.

ومما يزيد الطين بلةً أن يكون هناك سمعٌ وطاعة غير السمع والطاعة لولي الأمر. وهذه المسألة الخامسة التي كان شيخنا -رَحِمَهُ الله- يدندن حولها كثيرًا، ويحذرنا من مزلة الأقدام فيها، وهي مسألة السمع والطاعة أنها واجبة لولي الأمر المسلم، للحاكم المسلم، للأمير المسلم، وليس لرئيس الحزب، ولا لرئيس الفرقة، ولا لرئيس جماعة، لا، ما هو موجودٌ عند غلاة الباطنية الذين أسسوا الأحزاب السرية، وصار السمع والطاعة عندهم عمياء للداعي أو لداعي الإمام أو نائب الإمام، وما هو موجودٌ عند المتصوفة من وجوب

السمع والطاعة لصاحب الطريقة طاعة عمياء، أو ما هو موجودٌ عند بعض الأحزاب طاعة عمياء. هذه لا تجوز في دين الله -عَزَّ وَجَل-، بل ليس في دين الله طاعة عمياء حتى لولي الأمر الحاكم؛ لأن السمع والطاعة للحاكم إنما هو بالمعروف كما قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**إِنَّمَا الطَّاعَة فِي المعْرُوف**» رواه البخاري بهذا اللفظ، وجاء في [صحيح مسلم] نحوه، والله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء:٥٩].

فكان شيخنا -رَحِمَهُ الله- يحذر من جهة من السمع والطاعة البدعية الموجودة عند بعض الناس، وأيضًا يحذر من السمع والطاعة المطلقة التي تكون غلاة المتصوفة والباطنية لأئمتهم ومشايخهم، و«**إِنَّمَا الطَّاعَة فِي الـمَعْرُوف**» للحاكم المسلم. فلو أن الحاكم المسلم أمرنا بالمنكر لم تجب طاعته.

مثال ذلك: لو قال لنا الحاكم المسلم مثلًا: لا تصلوا، لا تصوموا أبدًا. فليس لنا أن نطيعه، «**إِنَّمَا الطَّاعَة فِي المعْرُوف**»، ومعنى في المعروف يعني يطاع في المباحات، يطاع في ضمن إطار ما هو مباحٌ شرعًا، ما جعل الله له فيه الطاعة.

ولذلك النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال لجماعةٍ من الصحابة وقد أمَّر عليهم شخصًا، فأمرهم أن يجمعوا حطبًا، وأن يلقوا بأنفسهم في النار، فأراد بعضهم أن يلقي نفسه في النار، وامتنع آخرون قالوا: والله ما آمنا ولا تركنا دين آبائنا وأجدادنا وفارقنا أهلينا وجئنا إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- إلا هربًا من النار، فكيف نلقي بأنفسنا في النار؟ فكفَّ عنهم قال: خلاص، لا تلقوا بأنفسكم في النار. فلما رجعوا أخبروا النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بالقصة، فماذا قال لأولئك الذين هموا بأن يلقوا بأنفسهم في النار، قال: «**وَالله لَوْ أَلْقُوا أَنْفُسَهُم مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَة فِي الـمَعْرُوف**».

إذن كان شيخنا -رَحِمَهُ الله- عظيم العناية بهذه المسألة لأنه وُجِد من الناس غلو أو جفاء كما هو حال الخوارج، فإن في زماننا في زمان شيخنا -رَحِمَهُ الله- كان هناك ناس يرفعون راية التكفير للحكام المسلمين، فيكفرون الحكام المسلمين بالحكم بغير ما أنزل الله مطلقًا بلا تفصيل، وكان شيخنا -رَحِمَهُ الله- عظيم العناية بهذا الباب، وبالتفصيل الوارد عن علماء أهل السنة والجماعة.

وبالجملة فشيخنا -رَحِمَهُ الله- لست أنا أو مثلي ممن يشهد له بأنه كان على طريقة السلف في الاعتقاد منهجًا واعتقادًا فحسب، بل يشهد بذلك شيوخه، وأقرانه، وزملاؤه، وفضلًا عن تلامذته، وإخوانه وأحبابه.

هذا ما تيسر في هذا اللقاء نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجزي عنا شيخنا خير ما جازى شيخًا عن تلامذته، وأن يرحم والدنا الكريم أبا محمد، وأن يسكنه الفردوس الأعلى، وأن يبارك لنا في ذريته، وفي علمه الذي تركه في تلامذته الأبرار الذين نسأل الله أن يسيروا على نهجه وطريقته.

إن شاء الله لنا لقاء، ليس الأحد القادم، ولكن الذي بعده وهو اللقاء الأخير في محنة شيخنا ووفاته -رَحِمَهُ الله-.

وَصَلِّ اللَّهمَّ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين، وَالْحَمْد لله رَب العَالَمِين.

المجلس الخامس والأخير

الحمد للهِ ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلى نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا هو اللقاء (**الخامس** والأخير) من لقاءات حديثنا عن شيخنا ووالدنا: أبي محمد الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وجعله في دار الأبرار مع النَّبيِّن والصَّديقين والشُّهداء الأبرار.

نتحدَّث في هذا اللقاء عن: الابتلاءات التي تعرَّض لها شيخُنا -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-؛ وذلك لأنَّ الابتلاء سنةٌ ماضيةٌ للأنبياء والمرسلين، وفيمن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، فالله -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- ذكر في القرآن كيف ابتلى الأنبياء والمرسلين، وكيف ابتلى الصَّالحين.

وأهلُّ العلم الذين هم على نهج النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- لا بد وأن يُبتلُوا، هذه الابتلاءات قد تكون في أنفسهم، وأموالهم، وعافيتهم، وقد تكون فيما حولهم من المجريات، وقد تكون في أُسرهم وبيوتاتهم، ونحو ذلك من أنواع الابتلاءات.

وقد جاء في حديث سعد بن أبي وقاص -رَضِيَ اَللهُ تَعَالَى عَنْه- وهو عند ابن ماجة والنَّسائي في [الكُبرى] والترمذي، وقال عنه: حديثٌ حسنٌ صحيح، قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟» والمقصود بـ (البلاء) هنا: الامتحان.

متى يكون الامتحان صعبًا؟ قال: «الأَنْبِيَاءَ» امتحاناتهم أصعب من غيرهم، قال: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ»: أي ثمَّ الأمثل إيمانًا يُبتلى على قدر إيمانه فالأمثل، «يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةً ابْتُلِي عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِيَ عَلَى الأَرضِّ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَة».

والإمام البخاري -رَحِمَهُ اللهُ- بوَّب على هذا الحديث بقوله: (أشدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياء ثمَّ الأمثل فالأمثل)، وذكر تحته حديث ابن مسعود -رَضِيَ اَللهُ تَعَالَى عَنْه-وفيه: أنَّه قال للنَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّكَ لَتُوعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلانِ مِنَّا! قَالَ: نَعَمْ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ لِي أَجْرُ اثْنَيْنِ مِنْكُمْ».

إذن هذه الأحاديث كلُّها تدلُّ على أنَّ المتَّبع لسنة الأنبياء وطريقتهم أنَّه يُبتلى.

وأوَّل الابتلاءات التي كانت لشيخنا -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: أنَّه لمَّا تخرَّج من معهد التَّدريس وصار مدرسًا للُّغة الإنجليزية، وأراد أن يطلب العلم -فليس طريق العلم مفروشًا بالورود- فوجد صعوبةً في ترك هذه الوظيفة؛ لأنَّ المسئولين ما كانوا ليوافقوه لاسيما وتخصُّصه كان نادرًا، وعمله كان مرغوبًا.

لكنَّه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- سعى سعيًا حثيثًا حتَّى يسَّر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- له بعض المسئولين الذين خاطبوا أصحاب المسئولية فاستطاعوا أن يتركوا وظائفهم في تدريس اللُّغة الإنجليزية والذهاب إلى المدينة النَّبوية لطلب العلم الشَّرعي.

وكان ابتداء نية شيخنا للذهاب والمكوث في المدينة في عام (ستةٍ وسبعين من الميلاد)، وهو المصادف لعام (سبعةٍ وتسعين وثلاثمائةٍ وألف) من هجرة المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تقريبًا.

وبعد الذهاب والإياب والمحاولات يسَّر الله -عَزَّ وَجَلَّ- قبول شيخنا، ووافق والده -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لأن يلتحق شيخُنا بالمدينة، وصار هو ومعه شيخُنا وزميله في طلب العلم الشيخ: فلاح بن ثاني السَّعيدي، وصارا من أوائل الطُّلاب الذين كانوا يدرسون هناك في المدينة النَّبوية مع شيخنا: أبي يوسف الشيخ بدر البدر وغيرهم.

مكث شيخُنا -رَحِمَهُ اللهُ- يطلب العلم هناك من عام (ثمانٍ وتسعين وتسعةٍ وتسعين وألف وأربعمائة) من الهجرة، وكان في هذا العام الفتنة المعروفة والحادثة الواقعة المشهورة التي تُسمَّى بـ(حادثة جُهيمان)، حيث ادَّعى هذا الرَّجل ومن معه ممَّن لُبِّسَ عليهم وغرَّتهم الشَّياطين كما جاء في الأحاديث عن النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنَّ الخوارج تغرُّهم الشياطين.

فخرجوا على ولاة الأمر كما هو معلوم، وعملوا فتنة عظيمة في الحرم المكي، واعتصم هو ومن معه من جماعته الخارجين في المسجد الحرام، وكان لهم شِقٌّ آخر في المسجد النَّبوي وأرادوا أيضًا أن يعملوا بعض الفتن لكنَّ الله -جَلَّ وَعَلَا- لم يُمكِّنهم.

وشيخُنا -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه الحادثة ابْتُلِي من جهتين:

الجهة الأولى: من جهة هؤلاء الذين كانوا يصدُّونه عن الدراسة النِّظامية، ويزعمون أنَّ الدراسة النِّظامية ولو في الجامعات الإسلامية أنَّ ذلك من تقليد الغرب، وأنَّه محرَّم، وأنَّه كفرٌ، ونحو ذلك من الأحكام الجاهلية التي يُطلقُها هؤلاء الذين لا ينظرون إلى أقوال العلماء الرَّاسخين، وفتاوى العلماء في الدين.

وإلَّا فهؤلاء لو أنَّهم نظروا إلى الشيخ: ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ-، والشيخ: عبد الله بن حُميد، وأمثالهم ممَّن كانوا أحياء في هذا الزَّمن لكان ذلك كافيًا في صدِّهم عن باطلهم، وكان شيخُنا -رَحِمَهُ اللهُ- إذا ذكر هذه القصة كان -رَحِمَهُ اللهُ- عظيم التَّأثُّر ويقول: (لولا لزومنا للمشايخ لضللنا مع هؤلاء).

وهذا أيُّها الإخوة يدلُّنا على أهمية ألَّا يُقدِّم الإنسان عقله وعاطفته في مثل هذه المسائل؛ لأنَّ العاطفة كما قال شيخُنا و شيخ مشايخنا الشيخ: محمد بن صالح العثيمين -رَحِمَهُ اللهُ-: (العاطفة عاصفة).

ومن قدَّم عقله دون النَّظر إلى النُّصوص الشَّرعية فإنَّه يضل؛ ولهذا نجد أنَّ الكفار والمشركين الذين يُقدِّمون عقولهم على آيات الأنبياء وأدلتهم كم ضلُّوا حتَّى عبدوا الأوثان والأصنام.

و لذ لك النَّجاة في مثل هذه الفتن بلزوم غرز العلماء، وا لدَّائرة مع ر حاهم، والثَّبات معهم، فكان شيخُنا -رَحِمَهُ اللهُ- يقول: (إنَّ لصوقنا بالمشايخ) أمثال:

-الشيخ: حمَّاد الأنصاري -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

-أمثال الشيخ: عبد الكريم مراد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

-أمثال الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي -رَحِمَهُ اللهُ- شارح سُنن النَّسائي.

وأمثالهم ممَّن أدركهم شيخُنا.

-والشيخ: أبو بكر الجزائري -رَحِمَهُ اللهُ-.

-والشيخ: محمد أمان الجامي -رَحِمَهُ اللهُ-.

وأمثال هؤلاء؛ فكان هذا كلُّه سببًا في نجاة شيخنا ومن معه من طُلاب العلم من أهل الكويت من هذه الفتنة الدَّاهية العُظمى.

ومن جهةٍ أُخرى: كان الابتلاء على شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- ومن معه من طلبة العلم من أهلِّ الكويت: أنَّهم أُخِذُوا مع من أُخِذُوا في هذه الفتنة حتَّى تبيَّن للجهات الرَّسمية في المملكة العربية السعودية -وفَّقها الله وصانها من كلِّ سوء- أنَّ شيخنا ومن معه من طلاب العلم لا علاقة لهم لا من قريبٍ ولا من بعيد مع هؤلاء الخارجين، بل كانوا هم من طلاب العلم الذين يُبيِّنون للناس ضلال هذه الجماعة، وضلال هذه الفرقة.

والحمد لله أنَّ هذه الفتنة التي عمَّت كثيرًا من المنتسبين إلى العلم، وشوَّهت صورة كثيرٍ من أهلِّ العلم خرج منها العلماء الرَّاسخون أنقياء أتقياء، وتجلَّى لطلاب العلم الأوفياء الحقُّ بجلاء فكانوا ولله الحمد كما قيل عن الذَّهب: إذا أُدْخِلَ في النَّارِ خرج ناصعًا لامعًا ولله الحمد والمنة.

ومن الابتلاءات التي حصلت لشيخنا -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: وهو في إبان غزو العراق للكويت؛ حيث كان شيخُنا -رَحِمَهُ اللهُ- يُحضِّر رسالة الماجستير، وحصل بسبب ذلك تأخير في الرسالة، وحصل بسبب ذلك أشياء لشيخنا سواءٌ في مسكنه أو مع أولاده وأهله وجماعته في المدينة أو في الكويت، وتعلمون أنَّه ما من بيتٍ في الكويت إلا وقد أُصيب بما أُصيب من هذه الحادثة الآثمة الغاشمة التي أوجعت القلوب، وأدمعت العيون: كيف أنَّ الجار الذي كان يُنتظر منه الانتصار صار إلى هذه الحال؟!

لكنَّ هذا لم يكن أيضًا مانعًا من حثِّ شيخنا على طلب العلم ونشر العلم ولله الحمد والمنة؛ فقد ذكر لي غير واحدٍ من أهلِّ العلم: أنَّ شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ- كان حتَّى وقت الغزو الغاشم للكويت كان جادًا في نشر العلم وطلبه ولله الحمد والمنة.

ومن الفتن التي تعرَّض لها شيخُنا -رَحِمَهُ اللهُ-: ما هو معروفٌ لدى خاصة أهله وطلابه من تعرُّض بعض السُّفهاء الخارجين الذين يرون فكر الخوارج وفكر التَّكفيريين، فعملوا ما عملوا في تشويه سمعة شيخنا، فلمَّا لم يستطيعوا أن يشوِّهوا سمعته -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- من النَّاحية العلمية؛ لما له من قَدمٍ في العلم وأخذٍ عن أهله، فكان -رَحِمَهُ اللهُ- مزكَّى ولله الحمد والمنة من قِبَلِ المشايخ الفُضلاء الأموات منهم والأحياء.

وأنَا أذكر جيدًا أنِّي في أول لقاءٍ لي مع الشيخ: محمد بن أمان الجامي -رَحِمَهُ اللهُ- في المدينة النَّبوية بعد الانتهاء من درسه، وكان يشرح كتاب العلَّامة ابن القيم في هديِّ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- [زاد المعاد]، فبعد الانتهاء من الدَّرس سلمنا على الشيخ وكان

معي أخي أبي عبد الله محمود الهزاع -رَحِمَهُ اللهُ- فسلَّم على الشيخ وكان أكبر منِّي سنًّا فقدَّمته للكلام.

فقال الشيخ لنا: من أين أنتم؟

فقال أبو عبد الله: نحن من الكويت.

قال مباشرةً: كيف الشيخ فلاح بن إسماعيل؟

فكان -رَحِمَهُ اللهُ- معروفًا لدى المشـــايخ، مُزكًّى من قِبَلِهِم، وكذلك أذكر أنَّ الشـــيخ حمَّاد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وهذا إن لم تَخُنِّي الذَّاكرة كان في عام (ســـتة عشـــر وأربعمائة وألف) من هجرة المصـــطفى -صَـــلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـــلَّمَ-، يعني: قبل أكثر من أربعةٍ وعشرين عامًا.

وكنا في المدينة فجاء الشيخ فلاح فذهبنا لملاقاة الشيخ: حمَّاد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وأنا شخصيًا ولا أكتم سرًا أنِّي أقول: منذ أن ذهبت إلى المدينة حتَّى وفاة الشيخ وأنا طالب في كلية الشَّـــريعة كنت أهاب الشـــيخ حمَّاد هيبة عظيمة لا يعلم بها إلا الله؛ حتَّى إنِّي لم أتجرَّأ أن أسأله سؤالًا واحدًا في حياتي، وكنت أفرح إذا جاء أحد يسأله وأنا عنده لأسمع الإجابة.

فالشـــيخ -رَحِمَهُ اللهُ- معروف ومُزكًّى من قِبَل أهلِّ العلم من النَّاحية العلمية، وحتَّى أنَّ الشيخ حمَّاد وهو من هو في جلالة قدره ومكانته في علم الحديث روايةً ودراية لمَّا ذهبنا مع الشيخ ودخلنا إلى بيته، وكان الشيخ حمَّاد -رَحِمَهُ اللهُ- في آخر حياته، هذا قبل وفاته

بسنة أو سنتين وإذا بالشيخ حمَّاد -رَحِمَهُ اللهُ- جالس تحت أرفف الكتب في مكتبته، فسَّلم عليه شيخُنا الشيخ: فلاح، فنزع نظَّارة القراءة ونظر إليه قال: مَنْ؟

قال: فلاح.

قال: الأول ولا الثَّاني؟

فقال الشيخ فلاح: الأول.

لأنَّه كان الشيخ حمَّاد يعرف الفلاحيين: (الفلاح بن إسماعيل مندكار، وفلاح ثاني السعيدي).

والشَّاهد من الكلام: أنَّ المشايخ -رَحِمَهُمْ اللهُ- كانوا يعرفون قدر الشيخ وعلمه ومكانته.

فلم يستطع المُغرضون من الطَّعن في الشيخ مع أنَّهم أخرجوا بعض الأشرطة على ما أذكر في الطَّعن في علم الشيخ، وبعض المقالات في الجرائد وغيرها، لكنَّها لم تُلاقي أسماعًا بل إنَّها صارت في المزابل؛ لأنَّ حالهم كحال مَنْ قِيل:

يا ناطحًا جَبلًا يومًا ليوهنَهُ أشفِق على الرَّأسِ لا تُشفق على الجَبَلِ

والشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- كان شديدًا على بعض المناهج التي تزعم الديانة ومقصودها الرياسة؛ ولهذا كان التَّكفيريون ونحوهم من أشد النَّاس على شيخنا -رَحِمَهُ

اللهُ-، وهدَّدوه مِرارًا وتكرارًا لكنَّه -رَحِمَهُ اللهُ- لفرط شجاعته ما كان ليُبالي بتهديداتهم شيئًا.

حتَّى حاكوا له قصةً معروفة وطار بها من طار من الصُّحف والمجلات التي لا تُراقب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وتكلَّموا في عِرْضِ الشَّيخ بالزور والباطل، والله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور:١٣].

فخرج الشيخ ولله الحمد بعد هذه المحنة التي أُتِّهم فيها في عِرْضِه ناصعًا ولله الحمد، بريئًا يعلم براءته أقربائه وذووه، وتلامذته، وأصحابه، وأنَّ هؤلاء إنما أرادوا التَّشويش على سمعة الشيخ؛ حتَّى لا يؤخذ عنه العلم، وإنما مقصودهم صدُّ الناس عن العلم، ولم يكن مقصودهم ذات الشيخ، لكنَّه -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- كان صابرًا محتسبًا.

وأذكر أنِّي كنت وقتها في المدينة النَّبوية، فلمَّا جاء الشيخ إلى المدينة بعد هذه الحادثة رأيت أنَّ من أقلِّ واجباته عليَّ -وأنا أحسِبُ نفسي عنده في منزلة أولاده- أن أواسيه، وقلت له: (يا شيخنا، إنما أُتِّهمت عائشة وهي صِدِّيقة فلا عليك) فبكى الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَة-.

من الابتلاءات التي تعرَّض لها الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: أنَّه ابتُلي بمرض السكر، وابتُلي بآلامٍ في ساقيه لاسيما في المِفْصَل الذي يفْصِلُ بين القدم وبين السَّاق؛ ولأجل هذا لم يستطع بعد ذلك الجلوس كثيرًا وثني الرُّكب كما كان يفعل من قبل؛ وبسبب هذا الابتلاء اضطُرَّ الشيخ إلى السَّفر للعلاج أكثر من مرة، وكان هذا أيضًا سببًا في ترك الشيخ للدروس الكثيرة التي كان عليها قبل هذا المرض.

لكنَّا نقول كما قال النَّبيُّ الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إِنَّ أَمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ، إِنْ أَصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيرًا لهُ، وإِنْ أَصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فَكَانَ خَيرًا لهُ، وليسَ ذَلِكَ إِلَّا للمُؤْمِنِ».

ومع هذا أعني: مع آلامه التي كان يجدها في ساقه وفي مِفْصَلِ قَدَمِهِ، وكان يتوكَّأ على العصا بعد أن عوفي نوعًا ما، مع هذا كله لم يترك الدروس إذا استطاع إلى ذلك سبيلًا، حتَّى إنَّه في سفر علاجه في لندن أو في ألمانيا كان الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- يُلْقِي الدروس هناك لطلبة العلم، وكذلك في سفره إلى أمريكا.

وأذكر أنَّه مرةً سافر وهو على هذه الحال وكان من المفترض أن يجلس يومًا وليلة في إسطنبول؛ لأجل أنَّ الطائرة ما كان مباشرةً، فلمَّا نزل رتَّب له بعض طلبة العلم في تركيا لقاءاتٍ علميةٍ، وهذا يدلُّ على حرص شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- على العلم.

ولا يمكن لعاقلٍ أن يُجاري أو أن يُداري، أو أن يُماري في حرص شيخنا على التَّعليم، وعلى العلم، **وممَّا يدلُّ على ذلك أمران رأيتهما من نفسي:**

الأول: أنَّه كان حريصًا على الجلوس في حِلَق العلم إذا ما قَدِمَ مشايخه، بل وأحيانًا إذا ما قَدِمَ أقرانه، بل وأحيانًا إذا قَدِمَ من هو في طبقة تلامذته كزملائنا وإخواننا.

الأمر الثَّاني: أنَّه كان يتَّصل بي وأكون في درسٍ ثمَّ إذا انتهى الدَّرس أتَّصل عليه وأُكلِّمه فإذا علِم أنِّي كنت في درس يفرح بذلك فرحًا شديدًا، ويحثُنا على الاستمرار في التَّدريس وفي المدارسة -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَة-.

وصبر على هذه الآلام التي كانت في مفصل قدمه وساقه حتَّى كان مرض كورونا، وقد كلَّمته قبل أن يدخل في الغيبوبة بيومٍ واحدٍ وذلك عن طريق الهاتف، فكان صوته متغيِّرًا، وكان هذا آخر سماعٍ لي لصوت شيخنا -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَة- وأسكنه الفردوس الأعلى.

لكنِّي ولله الحمد أظن -إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ- أنَّ اللهُ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- أناله مراتب الشُّهداء إذ كان سبب موته هذا الوباء.

وأيضًا في ختام هذه المجالس أُبشِّركم برؤية رأيتها، وهي عدة رؤى لكن سأذكر منها رؤية واحدة:

رأيت بعد وفاته بأيام لم تتجاوز (السبعة أيام) أنِّي في بيته -رَحِمَهُ اللهُ- في ديوانه حيث كان يجلس ويستقبل طُلاب العلم، ومكان الشيخ فارغٌ وأنا جالسٌ على يمينه -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَة- وطُلاب العلم عن يساره وعن يمينه وهم ينتظرون الشيخ، وكأنَّ اللقاء كان مفتوحًا يسأل كلُّ واحدٍ من الحاضرين سؤالًا فيجيب الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-، هكذا كان اللقاء معدًا في المنام.

وما مكثتُ إلَّا يسيرًا في مكاني ومكان الشيخ فارغ إلا ويأتيني اتصال من الشيخ ويقول: (أنا لا أستطيع الحضور، لكن خذ هذا الرَّقم واتَّصل به يُجيبكم الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-)، فأخذت الرَّقم وفرحت بعلو الإسناد، وأصبحت أتَّصل والإخوة الحاضرين يسأل كلُّ واحدٍ منهم مسألةً واحدةً للشيخ ابن باز، وكان يُجيب الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- حتَّى انتهى وكانوا قُرابة ستةً عن يساري، وستةً عن يميني.

وقد ذكرت هذه الرؤى لبعض المعبرين فأوَّلوا أنَّ الشـيخ -رَحِمَهُ اللهُ- كان قد اجتهد وأوصـلنا إلى علم الشـيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وأنَّ المسـئولية الملقاة علينا هو: أنَّ نسير على منهج هؤلاء المشايخ الذين كان يُحبُّهم الشيخ حبًّا عظيمًا.

نسـأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يُسـكن شـيخنا الفردوس الأعلى، وأن يجعله في جنَّـات النَّعيم، وأن يُلْحِقنـا بـه غير خزايـا ولا نـادمين، وأن يحشُـرنـا وإيَّـاه مع النَّبيين والصِّديقين، والشُّهداء والصَّالحين.

وسبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.